

روايات مصرية للجيب
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020
ما وراء الطبيعة
٤
أسطورة
آكل البشر


TELEGRAM
NETWORK
TELEGRAM
NETWORK

مقدمة..

٤

روايات مصرية للجيب

•

ما وراء الطبيعة

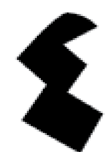
أسطورة آكل البشر

روايات مصرية للجيب
●
ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة
●
مصنف مصري مائة في المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو
الاقتباس
●
بريشة
الأستاذ/إسماعيل دياب
●
إشراف
الأستاذ/ حمدي مصطفى
●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة – المطابع ١٠،٨ شارع المنطقة
الصناعية بالعباسية – منافذ البيع ١٦،١٠ شارع كامل صدقي الفجالة– ٤ شارع الإسحاقي بمنشية البكري
روكسى مصر الجديدة – القاهرة ت ٢٨٣٥٥٥٤– ٥٩٠٨٤٥٥– ٢٥٨٦١٩٧ فاكس – 202/2596650 ج.م.ع.
4 شارع بدوي / محرم بك – الإسكندرية

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة



أسطورة آكل البشر

بقلم :
د. أحمد خالد توفيق



قبل أن أحكي قصتي التالية، اسمحوا لي أن

روايات مصرية للجيب

أسطورة آكل البشر

أ ع ر فك م بن ف س ي م ر ة أ خ ر ى

ولا يتململن منكم أولئك الذين قرءوا هذه المقدمة مرات عديدة قبل ذلك، لأنها ضرورية.. لمن لا يعرفني منكم كي يعرفني.. ولمن يعرفكم مني كي لا ينساني**!**.. وأنا لا أحب أن تنسوني..

أنا الدكتور (رفعت إسماعيل).. الطبيب المصري الذي يزحف الآن نحو السبعين من عمره، ويعيش وحيدًا مع جبل من الذكريات التي كانت مريعة يومًا ما، ثم غدت - بمرور السنين - مجرد خواطر باسمة من أيام شبابي..

لقد أسعدني الحظ في حياتي، بأن يسدد خطاي إلى كل مكان يغفو فيه مصاص دماء، أو يجوبه شبح، أو يجول به وحش.. ولكم من مخاطر واجهت.. ولكم من مؤامرات كشفت.. ولكم من أسرار أدركت..

و هأنذا لم أزل قادرًا على الاستمتاع بالحياة، وعلى النوم ملء جفوني وعلى الإمساك بالقلم وكتابة هذه السطور..

والآن سنعود بالزمن إلى عام ١٩٦٥.. وأنا في الأربعين من عمرى، حين تعرفت لأول مرة على آكل لحوم البشر**!**..

ولم يكن هذا في أحراش إفريقيا، ولا صحارى أستراليا، بل هناك في العمارة الأنيقة التي أعيش بها في الدقي..

ولكن.. لماذا أحرق قصتي قبل أن أكتب حرفًا منها؟**!** اقلبوا هذه الصفحة.. وستفهمون كل شيء..

❋ ❋ ❋

١ - إنني ارتاب!

القاهرة في ١٢ ديسمبر ١٩٦٤

أخي العزيز (عادل):

لقد ترددت كثيرًا قبل كتابة هذا الخطاب، من ناحية لأنني لم أعودك على أنني ذلك الشخص، الذي يمسك القلم ويكتب الخطابات كباقي خلق الله.. ومن ناحية أخرى لأنني أعرف انشغالك الدائم في عملك، مما يضيف بهذا الخطاب - وضرورة الرد عليه - عبئًا جديدًا إلى أعبائك..

كيف حالك أيها الصديق؟ وكيف حال عائلتك؟!.. لقد عدت من أحد المؤتمرات العلمية في اسكتلندا، منذ حوالي خمسة شهور.. وأكاد أسمعك تقول: اسكتلندا مرة أخرى!.. نعم.. اسكتلندا مرة أخرى، بعد

رحلتي القيمة من أجل رسالة الدكتوراه في جامعة داندي..

هل تذكر (ماجي)؟!.. هل تذكر قصائدي السخيفة التي صدعت رأسك بها - وكلها قصائد عربية لن تفهم هي حرفًا منها.، وجولاتنا على كورنيش الإسكندرية في سان ستيفانو، نتناقش حول القرار الخطير.. هل أهاجر من مصر وأعيش هناك معها للأبد، أم أنسى الأمر برمته؟!.. كنت أريد أن أتزوجها، وأريد. في الوقت ذاته - أن أعيش في مصر.. ذلك الاختيار الذي جعلته (ماجي) مستحيلًا..

ولكم من مرة حاولت إقناعي بالهجرة، ولكني رفضت.. هل تصدق أنني قابلت (ماجي) عند الأستاذ (جيمس ماكيلوب) وكانت لم تتزوج بعد؟!.. لقد حدثت أشياء كثيرة، وواجهنا أخطارًا مروعة حقًا، مما

جعل روحينا تتمازجان أكثر من ذي قبل.. وللمرة الثانية انتزعتها من روحي، كأنك تحاول اقتلاع ضرس سليم من فمك دون تخدير..

ما علينا.. المهم أنني قد عدت إلى شقتي الجميلة، وبدأت في إجراء بعض التجديدات.. مثلا قمت بتركيب ورق حائط، وغيرت قطع الأثاث، واستبدلت بالمصابيح العادية كشافات نيون أنيقة، (كما جرت الموضة في هذه الأيام).. إلا أن شعورًا من عبثية الأمر كله، ينغص على مشاعري.. من أنا؟.. وماذا أفعل؟.. وما الهدف من حياتي؟

إنني - كعهدي - ذلك الذئب الوحيد الذي لا يملك أصدقاء ولا زوجة ولا أهلًا، إنهم يعيشون في عالمهم الخاص به - في كفر بدر - ولا يعبئون كثيرًا بمشاكلي، طالما لم أختر

الحياة معهم.. ويبدو أن (رضا) أخي - بعد موضوع النداهة الذي حكيته لك - قد صار يؤدي للأسرة كل ما قد تحتاجه مني...

لست إنسانًا تعسًا. إلى الحد الذي قد تظنه، لكني - بالقطع - لست إنسانًا سعيدًا..

ومحاولًا إزالة هذه السآمة التي تخيم على روحي، بدأت أتعرف على الجيران..! هل تصدق أن (رفعت) صديق صباك يتعرف على الجيران؟.. صدق كل شيء في هذا الزمن الغريب ؛ لأني لم أعد نفس الشخص البري الذي تعرفه..

وفي العمارة التي أعيش بها، توجد عشر شقق مسكونة، وخمس شقق مغلقة بالمفتاح، هناك لواء شرطة قديم - ربما كنت تعرفه - (اسمه محمد حليم).. يعيش مع زوجته بعد أن تزوج أبناؤهما جميعًا.. وهناك مدرس مواد

اجتماعية له أسرة كبيرة، وهناك مهندس وزوجته وابنتاه، وهناك طبيب آخر غيري.. الخلاصة أن كل الأسر أسر مصرية تقليدية جدًا.. طيبون ودودون، لكنهم لن يفهموني أبدًا ولن يجود أحدهم علي بحديث ذكي ينعش روحي، بعد كل الضغوط التي عانيتها..

شخص واحد أعتقد أن له أعماقًا - وإن كنت لا أعرف كنهها - يعيش في نفس الطابق الذي أعيش فيه.. وهو شاب في الثلاثين من عمره، صموت وحاد النظرات، ولون بشرته غريب جدًا، وهو ضابط بحري - كما قال لي البواب - يعيش وحده ولا يصادق أحدًا، ولا يتحدث مع أحد.. وقد اعتاد أن يتغيب شهورًا عن شقته، ربما كان يقضيها على سفينة ما في عرض البحر، يدفع قبلها الإيجار مقدمًا،

ويترك مبلغًا لدفع فواتير الماء والكهرباء مع البواب..

أعتقد أنني - لو استطعت كسر حاجز التحفظ - لربما وجدت لديه شيئًا من الذكاء والثقافة.. لقد تعلمت دائمًا أن أحترم الصامتين، وأرى فيهم أعماقًا رائعة.. فإذا تكلموا اكتشفت أي مغفل كنته...!

لكني سأحاول التعرف على هذا الفتى...

والآن لا أجد أخبارًا أضيفها إلى خطابي.. لكني أطمع في رد مفصل منك يذيب حاجز المسافات والسنين

ودمت لي..

المخلص: رفعت إسماعيل

❋ ❋ ❋

الإسكندرية في ٢٠ ديسمبر ١٩٦٤

عزيزي رفعت:

تلقيت خطابك في سعادة، لأنك لم تزل تذكرني بعد هذه الأعوام.. وأسعدني أكثر أنك لم تزل حيًا، بعد كل هذه المصائب التي تطاردك في انجلترا ورومانيا، وحتى في قريتك البائسة.. واضح من كلامك أن مصيبة أخرى قد لاحقتك في اسكتلندا، الأمر الذي يقنعني أنك إنسان منحوس، إن لم يبحث عن المشاكل، فالمشاكل لابد باحثة عنه..

والآن اسمع كلامي يا (رفعت)... كف عن الترحال ؛ لأن من رأى أكثر، هو بالقطع معرض لأخطار أكثر.. لماذا لا تكف عن لعب دور الذبابة، التي لا تستقر في مكان؟.. لماذا لا تصير كالأخرين؟.. لماذا لا تتزوج؟..

إن مشكلتك هي كونك - بصراحة - مغرورًا.. ولأنك مغرور تحسب أنك أذكى

من أن تعيش حياة الآخرين..

اسمع نصيحتي، وحاول أن تبقى في بيتك، وأن تتعرف على جيرانك الظرفاء، وأن تشتري جهاز تليفزيون مثلي، لأنه أعجوبة حقيقية[1]! أمامه نجلس أنا (وسهام) و(أشرف) ابني نشاهد العالم كله... ونحن آمنون في بيتنا..

أنا في أفضل حال والحمد لله..

لكن ينغص حياتي ها هنا، تلك المشكلة التي نواجهها في مديرية الأمن، وهي هذه السلسلة الغامضة من الجرائم الشنيعة، التي لن أحكيها لك حتى لا تؤرق منامك.. لكن هناك شيئًا واحدًا أقوله لك: إنني أرتجف في كل ليلة، وأسأل الله أن يحفظ أبناءنا وأحبابنا من هذه الأشياء المروعة..

أعتقد أنك لا تعرف شيئًا عن هذا الموضوع؛ لأنك في القاهرة أولًا، ولأن تعتيمًا إعلاميًا مكثفًا قد فرض على هذه القصة، حتى لا تحدث ذعرًا عامًا..

أنا مشغول الآن..

لذا استميحك عذرًا في إنهاء خطابي، وأنتظر منك خطابات طويلة ممتعة كعهدنا بك قبل أن تنسانا.

وشكرًا...

أخوك: عادل توفيق

* * *

القاهرة في ٢٤ ديسمبر ١٩٦٤

أخي (عادل):

إنني أتساءل عن حال الجو عندكم في الإسكندرية، فالجو هنا عاصف والأمطار

الرعدية لا تتوقف.. والبرد يكاد ينفذ للعظام فيجمد نخاعها..

أنا جالس الآن في الفراش تحت الأغطية الثقيلة.. وجو الغرفة دافئ خانق ملوث بالكيروسين، بسبب تلك المدفأة اللعينة التي أهديتها لي منذ ست سنوات، ويا لها من هدية!!..

أرشف كوبًا من الشاي الساخن، وأدخن في شراهة، كأن كل هذا الدخان لا يكفيني كي أختنق...

لقد قرأت خطابك، وقلت: مرحى!..ها هو ذا صديق صباي قد نال رتبة (عقيد)، ولم يعد لديه وقت كاف ليكتب خطابًا محترمًا لأمثالي!، ثم قلت لنفسي إن هذا الرجل مشغول، ولديه أسرة وجهاز تليفزيون، مما

يجعل هذه السطور التي أرسلها تفضلًا جمًا منه...

أما عني أنا، فليس هناك ما يشغلني، سوى محاولتي التودد إلى الجيران، وخاصة ذلك الشاب الذي حدثتك عنه..

إن هذا الشاب غريب جدًا..

أكثر من مرة يدخل شقته أمامي - أو سمعته يفعل - وأضاء نور الصالة، فإذا ذهبت وقرعت بابه لم يفتح لي.. ستقول إنه يتهرب مني لنفور شخصي تجاهي.. ولكن من أدراه أنني أنا الطارق[2]؟

وفي كل ليلة - في منتصف الليل - أسمع صوت رتاج شقته يفتح، وصوت خطواته على درجات السلم.. فأين يذهب في هذا الوقت؟.. ولماذا لا يطفئ أنوار شقته مادام خارجًا؟!..

إنني قد وجدت هدفًا لا بأس به لحياتي، ألا وهو مراقبة هذا الشاب، وإماطة اللثام عن حياته الخاصة.. ولا أكتمك أن شعورًا غامضًا ينتابني، بأن هذا الشاب يراقبني بنفس الحرص!!..

لقد سأل البواب عني منذ أسبوع.. وقد أخبره الأحمق بكل شيء تقريبًا عني وعن سؤالي الفضولي عنه، ومنذ ذلك الحين رأيته يرمقني في اهتمام أكثر من مرة..

أغرب شيء يتعلق بهذا الفتى، هو صفيحة قمامته الموجودة بجوار باب شقته.. أنا لست فضوليًا بطبعي، ولكن حين تجد صفيحة قمامة مليئة بتذاكر السفر المستعملة، وكلها من وإلى الإسكندرية لابد أن تندهش...

لقد سافر هذا الفتى عشرات المرات إلى الإسكندرية في العام الماضي، ولست أفهم

لماذا لا يستخرج اشتراك سفر بالقطار يوفر ماله أو يسافر بسيارته (الشيفروليت) الزرقاء، التي لم أره يستعملها الا مرتين؟!

لقد أطلت عليك في موضوع قد لا يعنيك بالمرة.. فاغفر لي ثرثرتي..

سلامي للجميع بلا استثناء.

أخوك: رفعت إسماعيل

* * *

الإسكندرية في ٢٧ ديسمبر ١٩٦٤

عزيزي (رفعت):

من قال إن هذا الموضوع لا يعنيني؟..

إن حاستي (الأمنية) تتحرك.. وقد نجحت في إثارة فضولي بالفعل، ويبدو أنه قد أردت ذلك دون مداراة..

إن هذا الجار يخفي سرًا.. وهذا السر لا يمكن أن يكون شيئًا مشروعًا، لأنني أشتم هذه الأمور عن بعد.. وأراهنك على ذلك..

حاذر من هذا الشاب...

إن هناك أمورًا كثيرة لا أرتاح إليها في قصتك..

وإنني أرتاب!...

* * *

٢ - الزيارة..

القاهرة في ١ يناير ١٩٦٥

أخي العزيز (عادل):

أكتب لك هذا الخطاب في أول أيام العام ١٩٦٥. راجيًا من الله أن يجعله عامًا باسمًا عليك وعلى الأسرة.. وأن ينضم عميد شرطة إلى قائمة أصدقائي عما قريب!..

أنهيت خطابك السابق بكلمة تليق برجل شرطة محنك، هي: إنني أرتاب.. ولعمري لقد ذكرتني هذه الكلمة بكلمة (أميل زولا) الخالدة: إنني أتهم!.. في سلسلة مقالاته الشهيرة، التي لابد أنك نسيت كل شيء عنها[3]؟

تسلمت هذا الخطاب في ليلة رأس السنة..

كنت وحدي - كالعادة - أجلس في فراشي وحولي عشرات المراجع الطبية، وبجواري المدفأة اللعينة، وكوب الشاي إياه، وفوقي عدد غير عادي من البطاطين.. لكني كنت أرتجف!.. وكانت الدموع تكاد تثب من عيني

؛ لأنه ما من إنسان يعبأ بي أو يقول لي كل عام وأنت بخير.. مجرد ليلة أخرى وعام آخر يضاف إلى أعوامي الأربعين..

في الراديو يترنم (عبد الوهاب) بأغنية ما.. وثمة بطاقة من إدنبرة، تحمل توقيع (ماجي) تتمنى لي عامًا سعيدًا، وتقول إنها قد... خطبت!..، ولا ألومها على شيء، لأنني لم أكن فاعلًا أي شيء من أي نوع يبقيها لي.. إن الأمور قد سارت في مجراها الطبيعي، وكل شيء على ما هو متوقع، ولكن ما سر هذه الغصة في حلقي؟!!

و(عبد الوهاب) لم يزل يتغنى..

وهنا دق جرس الباب...

تململت.. وشعرت بالضيق، لأن ترك الفراش في هذا الزمهرير. وبعد أن صار دافئًا كحضن أمي - أمر غير إنساني..،

أطلقت سبة وشرعت أنتظر الدقة التالية التي ستجعل فتح الباب أمرًا لا مفر منه..

ولكنها لم تأت..

كانت الساعة الثانية عشرة والربع مساء، ولم يكن من المتوقع أن يدق أحد جرس الباب في هذه الساعة إلا لأمر هام..

أضف إلى هذا أن من يدق الجرس لأمر هام، لابد أن يعاود الكرة عدة مرات في لهفة وفي جزع.. ولا يبدي هذا الصبر المبالغ فيه..

إن هذا التناقض قد أثار ريبتي..

من ثم أزحت الأغطية، وانتعلت شبشبي والروب، واتجهت عبر الصالة المظلمة إلى الباب، وفتحته بحذر بعد أن أضأت مصباح المدخل..

كان السلم مظلمًا، لكن نور المصباح نجح في إزالة الظلمة إلى حد ما.. وعلى الضوء الخافت، كان جاري الشاب واقفًا، وقد ارتدي معطفًا أنيقًا، وبدت عليه علامات الحرج.. وكانت قطرات الماء تبلل شعره وكتفي معطفه وأنفه..

- مساء الخير.. أرجو عدم المؤاخذة..

قالها بصوت عميق فيه رجولة ورزانة..

- مساء النور.

تنحنح كمن يجد الأمر صعبًا.. ثم همس:

- إنني قد عدت لتوي للبيت.. وكنت أوشك على تناول عشائي و..!..، أعني هل أجد عندك بعض التوابل؟!.. أنا أموت جوعًا..

توابل؟!!

توابل في منتصف الليل؟!.. لابد أن أحدنا مجنون!.. لا أعتقد أن (ماجلان) الذي دار

حول الكرة الأرضية من أجل التوابل، كان يجرؤ، على إيقاظ جاره في هذه الساعة من أجلها..

ماذا كنت تفعل لو كنت مكاني؟!.. بالطبع كنت ستوجه إليه عبارات اللوم، وتصفق الباب في وجهه، أو تحطم أسنانه، أو تقتله دون مناقشة..

لكني لست كالآخرين...، وأنت تدرك أنني لا أستطيع حقيقة أن أغضب على أي شيء.. ثم إن أسلوبه المهذب، جعل من المستحيل على أن أطرده أو أزجره.. أضف إلى هذا أنني كنت لم أنم بعد، ولقد قدم لي الحظ فرصة التعرف إليه على طبق من فضة.. فهل أرفضها؟!

دعوته للدخول إلى أن أحضر طلبه، فلم يكذب خبرًا..

أجلسته في غرفة الجلوس.. وكانت رائحة البلل والبرد تفوح من معطفه وشعره وكل شيء.. رفع عينًا حذرة إلى جدران الحجرة وسقفها ثم قال:

- بيتك يوحي بذوق رائع..

شكرته على هذه المجاملة.. فقال وهو يعبث ببطارية نسيتها على المائدة..

- لابد أنها المدام.. صاحبة هذه اللمسات الساحرة..

فأفهمته الحقيقة - برغم أنني واثق بأنه يعرف أنني غير متزوج..

- إذن تعيش وحدك؟!

كدت أرد بالإيجاب، لكن الحافز الخفي المجهول، الذي جعلني أتخذ أغرب القرارات في حياتي (وأحكمها) ذلك الحافز جعلني أقول كاذبًا:

- هناك صديق يعيش معي.. وسيعود بعد قليل..

ابتسم في رزانة قائلًا:

- آه من حياة العزاب هذه...!

ابتسمت وتركته متجهًا نحو المطبخ... وفتحت النملية الخشبية، وشرعت أسكب في أوراق صغيرة ممزقة من الجرائد، بعض الفلفل وبعض الشطة وبعض البهارات...

- أنت تكره غسيل الصحون مثلي!!

وهنا أجفلت.. لقد كان واقفًا خلفي في المطبخ، يرمق الأطباق المكدسة في الحوض، والتي تعود لأسبوع مضى.. متى أتى؟ وكيف لم أسمع خطواته؟!.. وأية وقاحة دفعته للسير بهذه الحرية في بيت لا يعرفه؟!.. كأن عزوبتي قد أعطته تصريحًا غير مباشر بأن يتنقل في داري كما شاء..

هل أطرده؟.. الواقع أنني شعرت أن اللحظة المناسبة لذلك لم تأت بعد، وأنه لم يرتكب حتى هذه اللحظة جريمة حقيقية أعاقبه عليها.. إنه يفتقر للياقة وهذا كل ما هنالك...

لففت التوابل التي اخترتها له في أوراق صغيرة.. ثم سألته:

- لم أعرف اسمك بعد..

- اسمي (عزت).. (عزت شريف)...

ومد إبهامه في إحدى الأوراق، وأخرجه ملوثًا بالشطة، ولعقه في تلذذ:

- أنا ضابط بحرية تجارية.. وأعيش وحدي هنا..

كانت ملامحه واضحة أمامي الآن كأفضل ما يكون، وقد بدا لي وسيمًا إلى حد ما، لكن نظراته حادة بشكل مزعج.. ثم شفتاه الرفيعتان الصارمتان توحيان بقسوة غير

عادية، دعك من لون بشرته الذى هو خليط من اللونين الأسمر والأصفر.. والهالات الداكنة تحت عينيه.. ونحوله الشديد...

كل هذا كان يذكرني (بالمظهر الترابي)، الذي يصف الأطباء به وجه مريض الفشل الكلوي المزمن..

أما يداه فكانتا معروفتين شديدتي الخشونة، مما جعلني أندهش من أن يوجد إنسان عمله كتابي - وليس يدويًا - ويملك هاتين اليدين..

على كل حال - أعترف - لم يكن وجوده مريحًا على الإطلاق، وقد بدا لي أن الصداقة لن تجمع بيننا أبدًا. وأنني أرغب في الخلاص منه بسرعة..

إلا أنني - على سبيل اللياقة - فتحت (النملية) وأخرجت منها قطعتين من الجاتوه، كنت قد أبقيتهما على سبيل الاحتفال برأس

السنة وحدي، إلا أنني لم أعد أشعر بأية شهية تجاههما..، وضعت القطعتين في طبق وقدمتهما إليه مع شوكة صغيرة متمتمًا:

- كل عام وأنت بخير.. هذا هو احتفالي الصغير برأس السنة..

حاول الاعتذار إلا أنني ألححت عليه.. وبدا لي مجبرًا أكثر مما يحتمله الأمر.. وهنا حدث شيء غريب..

ما إن دس بقطعة الجاتوه الأولى في فمه، حتى بدت عليه أعتى علامات الاشمئزاز، وتقلصت ملامح وجهه، وأشار - في تشنج - إلى فمه المليء.. ففهمت..، قدته بسرعة إلى الحمام وهو يكتم بيده شفتيه.. وحشرجة محمومة تسبقه..

وسمعته - خلف الباب - يتقيأ..



ما إن دس بقطعة الجاتوه الأولى فى فمه ، حتى بدت عليه أعتى علامات الاشمئزاز ، وتقلصت ملامح وجهه ..

غريب هذا..! لا أظن أن الجاتوه كان سيئًا إلى هذا الحد، ولا أظنه فسد بهذه السرعة في هذا البرد تذوقت القطعة الباقية في طبقه، فوجدتها ممتازة.

وهنا عاد من الحمام يترنح، وقد ازداد وجهه اصفرارًا.. وقال وقد لاحظ أنني تذوقت الجاتوه:

- معذرة.. معدتي.. إنها لا تحتمل الحلوى..

- وكيف ستحتمل كل هذه التوابل إذن؟!!

- هذا.. أعني.. انعكاس شرطي.. اشمئزاز لا أكثر.. والآن أشكرك، وآسف على الإزعاج..

وكور قبضته على الأوراق الملفوفة على التوابل.. ثم سار مترنحًا إلى الباب الخارجي، وأحنى رأسه محييًا وانصرف...

يا لها من زيارة!!

على العموم لم أزل أعتقد أن له أعماقًا ما.. فكلمة (انعكاس شرطي) لا ترد على ألسنة الناس العاديين، مالم تكن لديهم خلفية واهية من علم الفسيولوجي، أو علم النفس أو كليهما..، ثم إنه رزين ومتزن بلا شك..

والآن.. هل ما زلت تشك في (كاره الحلوى) هذا؟!

تحياتي واكتب لي سريعًا...

أخوك: رفعت إسماعيل

* * *

الإسكندرية في ٧ يناير ١٩٦٥

عزيزي (رفعت):

سيصلك هذا الخطاب بعد رأس السنة بعشرة أيام على الأقل، مبرهنًا مرة أخرى على أنك الأكثر مجاملة وودًا ورقة مشاعر.. أشكرك

على البطاقة الرقيقة، وعلى خطابك الطويل الذي كتبته على أربع ورقات (فلوسكاب)، مما يشي بقدر من المودة أرجو أن يستمر طويلًا!

حكيت قصتك، ثم سألتني في آخرها: هل ما زلت تشك؟!..

طبعًا أشك.. وقد ازداد شكي إلى حد غير عادي...

الواقع أن منطقك وسردك للأحداث، يعكسان بلاهة قلما أصادفها..

تقول إنه زارك بعد منتصف الليل، وتجول في شقتك دون إذن، ثم تصفه بأنه شاب مهذب رزين...

يقول هو إنه جائع، ثم يتقيأ بمجرد أن يضع قطعة جاتوه في فمه..

يقول هو إنه كان على وشك تناول عشائه، وبرغم هذا ثيابه وشعره مبللان ما يوحي بأنه قد عاد لتوه من الشارع.. أنت - حين تعود لبيتك في يوم ممطر - تخلع معطفك، وتجفف شعرك.. ثم تدخل المطبخ، وتبدأ في البحث عن شيء تأكله، وتجهز كل شيء.. ثم بعد نصف ساعة على الأقل، تكتشف أنه ليس لديك توابل، وتفكر في اقتراضها من الجيران..، وغالبًا لا تفعل..

ثم ما نوع المعدة التي تتحمل كل هذه التوابل قبل النوم ولا تتحمل قطعة جاتوه بريئة؟!..

وما هو نوع العمل اليدوي، الذي يجعل اليدين خشنتين في مهنة

الضابط البحري؟!...
ثم إنه قد فاتك شيء شديد الأهمية، وعهدي بك أنك تلاحظ جيدًا.. كيف تقول إن ثيابه كانت مبللة، في حين أن السماء لم تمطر في أية بقعة من مصر في تلك الليلة.. ليلة ٣١ ديسمبر سنة ١٩٦٤؟!..

لقد قرأت النشرة الجوية بعناية - لأنها لم تمطر عندنا في الإسكندرية يومها - بل سألت أخي المقيم بالقاهرة تليفونيًا.. فمن أين جاء هذا (الأخ) بالمطر..؟!

ستقول لي أن منطقي يلتهم بعضه، وأنني شككت - في النقطة السادسة - في إحدى الأساسيات التي بنيت عليها النقطة الثالثة!

حسن.. أنا لا أعبأ بهذا الهراء، ولا وقت لدى من أجله...

كل ما أريد أن أقوله لك هو.. خذ الحذر ولا تفرط في الثقة بهؤلاء الأشخاص الودودين الذين يأتون ليلًا..

إن عندي الكثير من القصص المأساوية، التي تشابه قصتك، وكانت نهايتها دائما في محكمة الجنايات، أو منضدة الطبيب الشرعي!

أما بخصوص (ماجي)...

فتقبل عزائي الحار على سلبيتك وترددك، وعاطفتك التي جعلتك تفقد أول وآخر حب في حياتك، والآن حاول أن تنسى تلك الذكية العطوف المليئة بالحيوية، وحاول أن تجد زوجة!، وعندي لك واحدة ليست ذكية ولا عطوفًا ولا مليئة بالحيوية، لكنها زوجة!!.. وهي أخت (سهام) زوجتي.. مدرسة في

التاسعة والعشرين من العمر، خارجة من تجربة فاشلة لا ذنب لها فيها..

والمهم أن نراك في الإسكندرية لنرتب لقاءكما معا في بيتي.. لا تندهش.. فهذه الزيجات التقليدية، هي التي تنجح دائمًا.. ثم إنك لست أفضل مني.. وأنا تزوجت

تحياتي وشكرًا جزيلًا.

أخوك: عادل توفيق

❋ ❋ ❋

القاهرة في ١١ يناير ١٩٦٥

عزيزي عادل

أكتب لك هذا الخطاب، وأنا أشعر أن هناك أشياء غير عادية تحدث في الشقة المجاورة...!

* * *

٣ - المزيد من الالغاز..

(بقية خطاب د. رفعت):

.... صباح اليوم كنت ذاهبًا إلى الجامعة كعادتي، وركبت سيارتي، وأدرت المحرك، حين فوجئت بجارنا الأستاذ (زكريا) - أستاذ المواد الاجتماعية - يهرع ليلحق بي، ثم ينحني على نافذة السيارة ليلومني..

- على ماذا؟

- على دق (الهاون) طيلة الليل ونحن نيام...

نسيت أن أقول لك أن الأستاذ (زكريا)، يقطن في الطابق الواقع تحت ذلك الذي

أسكنه..، وعلاقتي به شبه معدومة، لأنه يعتقد أن رجلًا أعزب يعيش وحده، هو - بلا جدال - وغد منحل يحسن عدم الاختلاط به!! وهو ينتظر ويتوقع ويثق تمامًا أنني سأجلب العار للعمارة يومًا

وهو يقين لا أرى ما يبرره، أنا الذي لم أشرب في حياتي سوى السجائر - وأتمنى لو لم أفعل - ودخلت في دائرة الكهول منذ عام...

المهم أنني أخبرته أنني لم أفعل.. وليس لدي أي سبب يدفعني لذلك، وأن طعامي إما محفوظ، وإما قادم من قريتي وإما في مطعم قريب..

قال في ضيق وهو ينصرف:

- إذن هو الملعون الآخر..!

يعني بالطبع (عزت) - وهو ما أعتقده أنا - لكني لم أفطن لحظتها إلى ما يعنيه بالملعون الأول..!.. إنه أنا بطبيعة الحال..!!

إذن فهذا الشاب يقضي الليل في دق شيء ما على الأرض.. لا أعتقد أنه مولع بالطهي إلى هذا الحد المريع، حين يطلب التوابل بعد منتصف الليل، ويدق الهاون في ساعات الفجر.. لكني لم أسمعه بالطبع وإلا أخبرتك..

قد أقول إنه غريب الأطوار وأكتفي بهذا التفسير السهل...

لكن.. لا.. هناك سر أعمق من كل هذا وأخطر..

أمس جاءني البواب (عم شعبان) حاملًا قطعة من العظام.. وقال لي ان هناك من يرمي عظامًا في منور العمارة..

ولما كان منور العمارة مشتركًا مع العمارة الملاصقة لها، فإنني لم أجد هذا دليلًا كافيًا يسوغ غضبه على سكان عمارتنا..

وكان يريد مني تعهدًا بأن أكف عن رمي عظام اللحم من المنور، إذا كنت أنا ذلك الهمجي الذي فعل ذلك.. قالها وهو يلوح بالعظمة في وجهي..

كانت العظمة عظمة كتف نظيفة وبيضاء..، وكان يمكن أن تنتهي القصة هكذا، لولا أنني أتذكر علم التشريح جيدًا.. وأعرف تمامًا أن هذه العظمة لاتشبه عظام البقرة، ولا الجاموس، ولا الخراف، ولا أي حيوان ثديي أعرفه سوي....

وهكذا طلبت منه باقي العظام ونفحته ربع جنيه..، ولن أنسى أبدًا النظرة التي نظر إلي بها تقول بكل وضوح: هو ذا مجنون أخر..!

ثم إنه نزل في السلم وعاد إلى بعد دقائق لاهثًا، وهو يلف كل ما وجده من عظام في جريدة قديمة..

أخذت هذه العظام، وحملتها لغرفة مكتبي، وعلى ضوء الأباجورة شرعت أتفحصها..



وهكذا طلبت منه باقى العظام ونفحته ربع جنيه ..،
ولن أنسى أبدا النظرة التى نظر إلى بها تقول بكل وضوح:
هو ذا مجنون آخر ..

كانت هناك عظمة الكتف التي وصفتها.. ثم بعض العظام الصغيرة، التي يبدو أنها من عظام الكف العديدة.. وكانت هناك فقرات.. وعظمتا ترقوة.. وبعض الأضلع.. ورأس عظمة فخذ مكسورة..

وكان واضحا أن العظام ليست كلها لنفس (الكائن) لأن أعمارها تفاوتت من حيث درجة تكلس الغضاريف والتحام الأطراف.... إلخ....

إنهم يستعملون في الطب الشرعي اسلونا اسمه (الترسيب المناعي)، لمعرفة العظام الآدمية من عظام الحيوانات.. وأنا لا أملك هذه الوسيلة، لكني أملك خبرة لا بأس بها.. وأملك عيني..

فلتقطع ذراعي ان لم تكن هذه العظام آدمية..!

أشعلت سيجارة، وشرعت أفكر وأنا أتأمل الدخان المتوج في ضوء الأباجورة..

إذا كانت العظام بشرية، فما معنى ذلك؟!..

أنا أعرف أن هناك طالب طب في العمارة المجاورة لنا..لكن ما الذي يدعوه لإلقاء العظام في منور العمارة؟! إن الهياكل العظمية التي يدرس عليها طلبة الطب، لا تلقى أبدًا في القمامة، ولكنهم يقرضونها أو يبيعونها عند الانتهاء منها، وهكذا دواليك.. تنتقل العظام من يد ليد، إلى أن تبلى تمامًا أو يدفنها أحدهم..

إذن فهذا الاحتمال مرفوض..

الاحتمال التالي، هو أن أحدهم سقط في المنور وتحللت جثته وهو احتمال مرفوض أيضًا، لأن منور العمارة ليس مكانًا منسيًا إلى

هذا الحد.. وبالتأكيد ليس كهفًا في جنوب إفريقيا، أو مقبرة في وادي الملوك...

الاحتمال الثالث هو أن هناك من قتل شخصًا - في إحدى العمارتين - وألقى بعظامه من المنور..

وهو احتمال سخيف، لان المنور ليس المكان الأمثل لإخفاء الجثث لنفس الأسباب السابقة..

أضف إلى ذلك أن العظام مأخوذة من عدة أشخاص.. وأنني لم أجد عظمة واحدة كبيرة - كالفخذ أو الساعد - تدعم النظريتين الأخيرتين...

أسمعك تقول: إن هناك احتمالًا رابعًا، هو أنني لا أفقه شيئًا، وأن العظام عظام حيوانية ببساطة.. وهو احتمال محترم ولا بأس به إلا أني لا أميل إليه كثيرًا..!!

ترى ما هو رأيك في هذا اللغز؟!..

هل ترى أن أبلغ البوليس عن هذا..؟.. لاشك أنه أقدر بوسائله. على معرفة من ألقي بهذه العظام، ولأي سبب، ومن أين جاء بها..

لقد صدعت رأسك - كالعادة - بهذا الخطاب، وأعتقد أن الوقت قد حان لأن أنتهي.. انتظر منك خطابًا مطولًا..

وعلى فكرة.. إنني على وشك تركيب تليفون يريحني من كتابة الخطابات ويريحك من قراءتها.. ورقمه هو ١٠٨٢٧، فلا تنس أن تتصل بي بعد شهر لأسمع صوتك، مادام سفري للإسكندرية، أو سفرك القاهرة متعذرا في الوقت الحالي. وشكرًا.

أخوك: رفعت إسماعيل

* * *

الاسكندرية في ٢٠ يناير ١٩٦٥
أخي (رفعت):
آسف على تأخري في كتابة الرد على خطابك، لأني كنت في غاية الانشغال..
لقد قرأت خطابك، وقرأت أنك تود إبلاغ البوليس..
حسن.. إنك تنسى دائما أنني أنا أيضًا بوليس!، وعليه أريد هذه العظام جميعًا.. وعليك أن تلفها لي في ورقة مناسبة.. وسيحضر إليك خلال أيام الأخ منصور - وهو زميل فاضل - وستجده يرتدي ثيابًا مدنية، ومعه ورقة مني، فأعطه هذه العظام سيوصلها إلي...
وبالطبع لا أريد ثرثرة مع أي إنسان حول هذا الموضوع..
نقطة أخرى هامة جدًا...

لا أريد أن أثير رعبك، ولكنني قد تحققت بوسائلنا المعقدة من أطقم ضباط كل السفن البحرية التجارية، المسجلة في هيئة الملاحة.. والنتيجة سلبية..

بمعنى أنه لا يوجد ضابط بحرى اسمه (عزت شريف) على وجه الأرض..

لا يوجد.. ولم يوجد..

والآن ترى أن علامات الاستفهام قد ازدادت، إلى حد يجعل أقدامنا مكبلة.. وهناك خدمة أرجو أن تقدمها إلى

هل تستطيع إرسال شيء - أي شيء - كوب ماء أو ملعقة عليها بصمات هذا الجار العجيب؟!.. إنه لم يفعل حتى اليوم شيئًا خطيرًا يبرر لنا طلب بصماته، لكني سأحاول البحث والتحقق، مما إذا كان قد فعل شيئًا في الماضي..؟

لهذا أرجو أن تساعدني، وتعطي هذا الشيء ملفوفًا في منديل إلى الأخ (منصور) حين يأتيك بعد أيام...

ألف مبروك على التليفون.. وأرجو أن ترد على اقتراحي بخصوص شقيقة زوجتي، لأنك تجاهلت الأمر كليًا.

عادل توفيق

❋ ❋ ❋

القاهرة في ٢٥ يناير ١٩٦٥

أخي (عادل):

أكتب هذا الخطاب في الحادية عشرة مساء، وقد انصرف (منصور) منذ دقائق حاملًا ما طلبته مني..

بالأمس. وفي تمام العاشرة مساء - دق جرس الباب ففتحته لأجد (عزت) واقفًا على

السلم.. حييته فطلب مني كوبًا من الماء لأن المياه مقطوعة عنده، ولأن أحدهم - حتمًا - قد عبث في عداد المياه الخاص به...

المهم أنني تمالكت فرحتي، وهرعت إلى المطبخ..

ونظفت كوب ماء بمنديلي بعناية شديدة ثم حملته على كفي في حذر، ووضعته في طبق وحملته إليه...

وكان قد دخل الشقة - كعهدي به -، وأخذ يتأمل ديكورات الصالة..، ناولته الكوب بيد مرتجفة فشكرني، وشرع يحسو الماء بصوت مسموع..

ثم إنه أعاد إلي الكوب شاكرًا، فتناولته من قاعدته بأطراف أصابعي، وبحركات بهلوانية. حتى لا أتلف البصمات الثمينة التي نقشها

على الزجاج - وضعته في الطبق وهنا لمحته ينظر إلى يدي في شك.. ويسألني:

- لماذا تمسك الكوب بهذه الطريقة؟

كان السؤال مباغتًا.. وأرتج علي للحظة، ثم تمالكت نفسي وقلت:

- إن يدي ملوثتان بالكيروسين.. كنت أصلح المدفأة، ولا أحب أن تلتصق الرائحة بالكوب..

- فهمت.. إنها حياة العزاب هذه..

وعاد يتأمل في الشقة ثقيلًا.. لزجًا.. كئيبًا..، ثم إنه حياني بهزة من رأسه وانصرف.. ولم تفتني تلك النظرة التي ألقاها على الكوب قبل أن يخرج..

والآن صارت لدي بصمات أصابعه كأوضح ما يكون، وقد لففت الكوب في منديل نظيف وأعطيته لـ (منصور) حين جاءني اليوم..

طبعًا أسمعك تقول الآن: إن (عزت) لم يبتلع ما قلته عن إصلاح الموقد، لأن رائحة الكيروسين لا تفوح من يدي، لكني أقول لك: هل لديك حل آخر؟. كان هذا هو العذر الوحيد الذي استطعت إيجاده من وحي اللحظة.. والآن أرجو أن تبلغني النتيجة بمجرد أن تعرفها..

وألف شكر.

أخوك: رفعت إسماعيل

* * *

الإسكندرية في ٢ فبراير ١٩٦٥

أخي (رفعت):.

كنت مشغولًا بفحص العظام والبصمات: لهذا لم أكتب إليك بالسرعة المرجوة..

لقد أكد خبير الطب الشرعي، أن العظام بشرية.. أما خبير البصمات فلم يجد أية سوابق معروفة، لصاحب البصمات التي على الكوب....

والغريب أنه يؤكد أن هذه البصمات، واتجاه الخطوط بها من نمط غريب جدًا لم يره من قبل.. بالإضافة إلى أن جلد صاحب هذه اليد خشن، إلى درجة لا توصف، مما يجعل بصماته غير ذات نفع تقريبًا..

أما آخر ما قاله، فهو أن هذه البصمات المشوهة، موجودة بإفراط وبكثرة على العظام.. العظام التي أرسلتها..!!

❋ ❋ ❋

٤ - سوء تفاهم..

ديترويت في ١٥ يناير ١٩٦٥
بروفسير د. (محمد شاهين).
زميلي العزيز:

مع بدايات العام الجديد، أهنئك بمنصبك العلمي الجديد، كأستاذ الأنثروبولوجي4 بجامعة (....)، وأعتقد أنهم قد أحسنوا الاختيار في هذه المرة على الأقل.

إننا نفتقر - بشدة - إلى وجودك العلمي الحميم بيننا.. وإلى حضورك وآرائك الصائبة..، وفي هذا الوقت بالذات، أعتقد أن هناك حاجة ماسة إليك، في إحدى المشكلات العلمية المعقدة التي أتمني دراستها معك.

تتذكر بالطبع مناقشاتنا القديمة عن مذهب الكانيبالزم - أو أكل لحوم البشر -، وكيف

أنني كنت أرى أنه طبيعة في أي مجتمع بشري بدائي، في حين كنت أنت ترى أنه لا يشكل طبيعة إنسانية، وإنما هو نتاج ظروف معقدة ومعتقدات أسطورية قديمة، منها أن المجتمعات البدائية كانت حين تأكل البشر، تعتقد بذلك أنها تكتسب مزاياهم، وتمنع أرواحهم من ملاحقة أفرادها.. وكنت تستشهد بفقرات كاملة من كتاب (الغصن الذهبي) لـ (فريزر) الذي يتحدث عن حياة وعادات الإنسان البدائي.. ذلك الكتاب الذي لا أحترمه كثيرًا للأسف..

لقد جاءت الفرصة لإثبات أينا على حق...

والآن دعني أحك لك هذه القصة، التي أخبرني بها أحد تلاميذي المصريين، وحدثت منذ سنوات خمس عندكم..

المهندس (شاكر) شاب مهذب متحضر يعمل في إحدى شركات البترول.. عمره ثلاثون عامًا.. غير متزوج، وليس له أقارب معروفون..

كل من عرفوه قالوا إنه متدين ونقي اللسان، لا يذم ولا يشي، وقد نال رضا رؤسائه ومرؤوسيه بما لا يقبل الشك..

والآن تخيل معي..

يذهب هذا المهندس في مهمة علمية في الصحراء الغربية.. جولة استكشافية بالطائرة، لا يرافقه فيها سوى اثنين من المهندسين والطيار..

وبالطبع مع طائرة صغيرة بمحرك واحد كهذه، تحدث الحوادث بكثرة..

انقطع الاتصال، ولم تفلح فرق الإنقاذ بعد اسبوعين من البحث، في العثور على أي أثر

للضحايا الأربع.. برغم إرسال عدة طائرات لمسح المنطقة.. "

وأعلنت الشركة أنها تعتبر مهندسيها والطيار مفقودين...

هل تعرف هذه النوعية من القصص؟...

ثم - بعد شهرين - يحدث ما تتوقعه.. يعود المهندس (شاكر) بعد أن وجده بعض البدو.. وكان في صحة لابأس بها ؛ أما زملاؤه فهلكوا جميعًا..

وكان واضحًا أنه ظل جوار حطام الطائرة، ينتظر في يأس أن يجده أحدهم، واستطالت لحيته وأظفاره، وتمزقت ثيابه تمامًا.. وقد لوحت الشمس بشرته حتى كادت تحرقها.. كما أن الرمد الصديدي كاد يلتهم عينيه..

لكنه - وأكررها - كان في صحة لا بأس بها..



وكان واضحًا أنه ظلّ جوار حطام الطائرة ، ينتظـــر فى يأس
أن يجده أحدهم ..

سادت الفرحة أوساط زملائه.. ووسط هذا الهرج، لم يلحظ أحد أنه لم يحك تفاصيل حياته في منفاه الإجباري هذا.. وهذا ينافي الطبيعة البشرية الثرثارة، التي نعرفها.. إن واحدًا مثله كان سيحكي قصته للجميع..ولربما نشرها في كتاب اسمه (ثلاثون يومًا في طائرة) أو (سجين الصحراء) أو شيء من هذا القبيل..!

لم يلحظ أحد هذا في غمرة الفرحة.. كما أن أحدًا لم يسأل نفسه عن التغذية التي كان يحصل عليها ليحتفظ بهذه الصحة الجيدة.. ولم يسأل أحد نفسه عن عظام الطيار والثلاثة المهندسين، التي وجدوها في الطائرة نظيفة لامعة بشكل غير عادي..

إلى هنا والقصة عادية..

ثم بدأ المهندس (شاكر) يتغير.. صار أكثر شحوبًا، واصفر لون وجهه.. شفتاه صارتا قاسيتين جافتين، وبنيته صارت ناحلة، ولم يعد يثرثر أو يمزح، وقد عزا زملاؤه هذا التبدل، إلى التجربة المريعة التي أحدثت شرخًا في شخصيته يصعب التئامه..

واستقال من عمله.. وترك منزله دون أن يودع جيرانه...

والآن تعال معي نفكر فيما حدث..

لايحتاج المرء إلى ذكاء كثير، كي يعرف نوعية الطعام التي كان يحصل عليها في الصحراء، وبين جثث زملائه.. فهذه القصص تحدث كثيرًا، منها قصة المكسيكي الذي سقطت به الطائرة فالتهم المضيفة.. والإندونيسي الذي افترس زملاءه في طوف تتأرجح به الأمواج في المحيط الهادي..

إن الجوع وغريزة الحفاظ على الحياة شريكان لا يجتمعان إلا على شر..

والآن فأنا وأنت واثقان أن هذا المهندس قد أكل لحم البشر.. والسؤال هو: هل استطاع التخلص من هذه العادة، التي حركت في داخله ذلك التراث البدائي الهائل، الذي غطت عليه الحضارة؟!

لقد ترك بيئته كلها، مما يعني أنه يريد أن يذهب إلى مكان لا يعرفه فيه أحد فما هو غرضه؟.. ما هو نمط حياته اليوم؟.. ما هي التغيرات النفسية التي طرأت عليه؟!

أريد منك أيها الزميل أن تجد لي هذا المهندس - بأي ثمن - وأن تضعه تحت مجهرك لأنه نموذج حضاري غير عادي..

وللمزيد من العلم، أخبرك بأنه قد غير اسمه إلى (وحدت) أو (همت) أو شيء كهذا.. وهو

يقيم في أحد أحيائكم المسمى بالدقي، وعنوانه هو ٤-أ شارع الترعة.. هذا هو العنوان الذي أعطانيه تلميذي المصري، الذي كان أقرب صديق لهذا المهندس، الا أن علاقتهما تهدمت في ظروف مؤسفة..

أرجو أن أتلقى ردك سريعًا.. وكن حذرًا..

بإخلاص....

بروفسور د. ر. ل. كاثريل

❋ ❋ ❋

القاهرة في ١٢ فبراير ١٩٦٥

عزيزي بروفسور (كاثريل):

لقد أسعدني الحظ بتلقي خطابك أيها الزميل الموقر.. يا حارس بوابة العلم وكابوس الجهل الدائم!!

أكتب إليك هذا الخطاب لأزف إليك الخبر.. لقد وجدت صيدنا الثمين..! ولم تكن مهمتي سهلة بحال..

إنك قد قلت لي إن اسم صاحبنا هو (وحدت) أو (همت) وبمعنى آخر اسم من تلك الأسماء التي لحق بها التبديل (التركي) للتاء المربوطة بتاء مفتوحة وهي كثيرة في لغتنا ومنها: ثروت، عفت، طلعت.... ألخ...

بل إننا نستعمل اسم (مرفت) في العربية غير عالمين أنه اسم (مروة) الذي خربه الأتراك5، فاستبدلوا بتائه المربوطة تاء مفتوحة، وبدلوا واوه إلى فاء... و... دعك من هذا البحث اللغوي، ونعود لموضوعنا..

قلت لي ان اسمه (همت) أو (وحدت).. و(همت) لا يستعمل في مصر إلا للفتيات أما

(وحدت) فيستعمله الأتراك فقط ولا نستعمله نحن المصريين أبدًا..

لهذا سالت بواب العمارة - بعد إعطائه جنيهًا وسيجارة - عن صاحب الاسم الذي له هذا الرنين.... (ثروت) أو (طلعت) أو (رأفت)...

قال إلى أن هناك رجلًا مريبًا في الطابق الرابع اسمه (رفعت).. (رفعت إسماعيل)!

وهو يعيش وحده وليس له أصدقاء.. ويمضى طيلة ما بعد الظهر منفردًا في شقته.. وهو يزعم أنه أستاذ في الطب، لكني لا أعرف له عيادة ولم أسمع عنه أبدًا، برغم أنه من نفس الجامعة التي تضم كليتي وكليته..!!

الأكثر غرابة أن البواب قال لي، إنه وجد منذ أيام عظامًا بيضاء غريبة الشكل ملقاة في المنور.. وأنه حين سأل (رفعت) هذا عما إذا كان قد رماها، بدا مرتبكًا مندهشًا.. بل إنه -

ضع عشرة خطوط تحت هذه الجملة - أعطاه ربع جنيه كي يحضر له هذه العظام إلى شقته..!!

أما جاره - وهو مدرس ورب أسرة - فقال لي إنه يشك كثيرًا في هذا الرجل المريب.. وأنه لم ير له أهلًا يزورونه، وأنه يمارس عادة الدق ليلًا فوق رأسه وهو نائم لسبب مجهول، وأنه - كما يزعم - يسافر كثيرًا للخارج..

كما قالا لي - البواب والجار - إنه قبيح الشكل ومنظره مرعب، وفي العقد الرابع من العمر تقريبًا، أي أنه في نفس سن رجلنا...

سأحاول التعرف عليه وزيارته.. لكن مهمتي لن تكون سهلة..

أنك لا تزور آكل لحوم البشر كل يوم..!، ولن أتخذ أية خطوة قبل أن يصلني ردك..

* * *

ديترويت في ٢ مارس ١٩٦٥

زميلي العزيز:

أعتقد أنك محق في شكوكك.. ومعذرة عن خطئي في الاسم، لأن هذه الأسماء العربية - والتركية. تتشابه في اذاننا الغربية...

أريد منك قبل أن تزور هذا الرجل، أن تأخذ احتياطاتك كأن تتسلح - ولو بمدية - وأن تترك عنوانك ومعلومات لدى أحد أصدقائك، حتى إذا تأخرت أكثر من ثلاث ساعات عنه أبلغ الشرطة.. أما نصائحي لك فهي كالتالي:

(أ) لا أعرف المدخل الذي ستستعمله للتقرب إليه واعتقد أن الوحيد الذي يعرف هذا

المدخل هو أنت، لأنك مصري مثله وتعرف ما يجب أن يقال.. وما لا يقال..

(ب) إذا دخلت بيته حاول أن تبحث عن (آثار ثقافية بدائية).. لابد أنك واجد هذا الأثر، لأنه موجود في بيت كل آكل لحوم بشر تم اكتشافه..

(ج) حاول أن تتبين نوع طعامه، وأن تجلب أي أثر منه لكي تفحصه..

(د) لاحظ طريقة كلامه.. فإن لم يخني حدسي، ستجد لديه عيبًا ما في الحروف، وهي سمة عامة في أكلة لحوم البشر ؛ لأن أسنانهم تتشوه تدريجيًا من جراء معالجتهم للأنسجة القاسية.. مما يؤدي لتغير أسلوبهم في النطق..

مرة أخرى.... كن حذرًا..

بإخلاص.

بروفسور د. ر. ل. كاثريل

* * *

٥ - المتطفل..

القاهرة في ١٧ مارس ١٩٦٥

عزيزي (عادل):

لقد جاء التليفون لشقتي أمس.. لكن الحرارة لم تصله بعد..

كان يومًا عاصفًا يحاصرني فيه النحس من كل اتجاه.. لقد جرحت ذقني في أثناء الحلاقة.. وشربت قهوتي ساخنة مما جعل لساني يحترق، ولم أعد أستطيع الكلام..

ثم - الطامة الكبرى - كسرت مفتاح الدولاب في القفل، مما جعلني أكسر الباب نفسه كي أجد قميصًا نظيفًا، وقد قررت أن أرتب محتويات الدولاب بما فيه من تذكارات لن أنساها أبدًا..

مخالب المذءوب التي كانت (إيكاترينا) تلبسها.. وزجاجة حمض مكسورة باقية من رحلتي المشئومة إلى اسكتلندا، لا تعرف أنت قصتها.. وتماثيل سحرة قبائل الزولو، التي أهداها إلى د. (أمجولو) في نيجيريا منذ سنوات.. وقد وجدت أنها جميلة جدًا وتستحق أن أضعها في الصالة..

ثم إنني ارتديت مريولة المطبخ، وطهوت بعض البازلاء والأرز مع فخذ ضأن شهي، اشتريته اليوم من جزار أمين، وأعددت مائدة الطعام وكل شيء، وجلست - ولعابي يسيل -

أفترس هذه الوجبة، أنا الذي نسيت تقريبًا طعم الأكل المنزلي، خاصة وأنني لا أطبخ إلا مرتين في الشهر..

أشعر دائما بالحسرة وتبديد الجهد، من أجل الساعات التي أطهو فيها، ثم.. ينتهي كل شيء في دقائق، كل هذه المشقة من أجل عشر دقائق من الاستمتاع.. لا أعتقد أن لهذا داعيًا كبيرًا.. ولا أحسب أن معدتي تستحق كل هذا التكريم المبالغ فيه..

وهنا دق جرس الباب..

ذهبت لأفتحه في غيظ، وأنا أمضغ ملعقة الأرز التي ابتلعتها.. إن الباب - ذلك الملعون – لا يجلب لي سوى أشخاص يريدون نقودًا، أو يلومونني على شيء، أو يزفون إلي مصيبة، أو يقترضون شيئًا لن يعيدوه! فتحت الباب، فوجدت رجلا قميئًا أصلع، يرتدي

ميكروسكوبًا - معذرة أعني نظارة سميكة -وحلة حال لونها..
أبتسم لي في لزوجة وقال:
- د. (رفعت إسماعيل)؟!
- ماذا تريد؟
قلتها في ضيق.. فقال وهو يرمقني بفضول:
- أنا الدكتور (محمد شاهين)، أستاذ الأنثروبولوجي جامعة (....).. هل تسمح لي بالدخول..؟!
دعوته إلى الصالة، وأجلسته على مقعد وثير هناك، فغاص فيه وأخذ يختلس نظرات وقحة إلى أثاث الصالة وأركانها.. ثم تحجرت عيناه وهو ينظر إلى.. تماثيل الزولو التي وضعتها على (البوفيه) كما قلت لك.. نظرة انتصار وحشية التمعت في عينيه.. ثم إنه. نظر إلى وقال:

- هذه تماثيل لقبائل الزولو.. وهي توضح الطقوس القديمة للكانيبالزم..!!

هزرت رأسي بمعنى أنني لا أدري في الواقع.. فقال:

- إن مهنتي تجعلني على دراية بهذه الأشياء..

قلت له - بلسان معوج من أثر القهوة - إنني أفضل أن يشرح لي سر تشريفه بزيارتي، لأني كنت أتناول طعامي منذ دقائق..

قال على الفور - ملحًا في الرجاء - إنه يصر ويصمم على أن أواصل طعامي أمامه، بينما يتكلم هو عن غرض زيارته..

- إذن تأكل معي؟

ابتلع ريقه وبدا لي أنه يوشك أن يغمى عليه، واعتذر بأنه قد تناول طعامه بالفعل قبل أن يجيء إلى، كما يريد..

وهكذا جلست على مائدة الطعام وأخرجت فخذ الضأن شهية المنظر إلى طبقي، وبدأت أقطعها بالشوكة والسكين، أمام نظراته المرعوبة الخرساء، التي لا أدري لها سببًا.. وكان يرتجف وهو منكمش في مقعده..



وهكذا جلست على مائدة الطعام ، وأخرجت فخذ الضأن شهية المنظر إلى طبقي ، وبدأت أقطعها بالشوكة والسكين ، أمام نظراته المرعوبة الخرساء ..

ثم أمسكت بالعظمة، وشرعت أخبطها على حافة الطبق، لأفرغها من النخاع - كعادتي منذ الطفولة - لاعقًا لساني من التلذذ، وهنا سمعته يتحشرج، ورأيته يغطي فمه بيده، ويشير إشارة فهمتها فورًا..

- آه.. الحمام!.. هلم سريعًا.. من هنا...

جرى إلى هناك، وأغلقت عليه الباب، وعلى صوت قيئه تساءلت في اشمئزاز، عن السبب الذي يجعل كل هؤلاء يتقيؤون عندي؟!.. لا أعتقد أن شكلي (مقرف) إلى هذا الحد المروع...

وحين عاد إلى كان قد صار أحسن حالًا.. وقد اعتذر لي في حرارة لأنه فعلها:

- معذرة.. إنه...

- انعكاس شرطي.. أعرف هذا..

قال وهو يلهث:

- نعم.. هو كذلك..

ثم بدأ يحكي لي قصة سخيفة لا أول لها ولا آخر، عن إبن عم له سقطت به طائرة في الصحراء الغربية، وإنه يبحث عنه منذ سنوات، وإنهم قالوا له إنه في هذه العمارة.. وأنه يعتقد أنني أعرف شيئًا عن هذا الموضوع و....

قلت له انني لا أملك أية فكرة عن ابن عمه المفقود، إلا أنه أخذ يتحدث في إلحاح عن القبائل البدائية والكانيبالزم وحضارة الزولو و.. و..!..

طلبت منه الانصراف، إلا أنه استمسك ببسالة بتصديع رأسي..

ولما أدرك ألا جدوى من الإلحاح، طلب مني - في أدب - أن أعطية العظمة التي كنت آكل منها لغرض ما عنده**!!**

ألن أنتهي من هؤلاء المجانين طيلة حياتي؟!
قلت له وقد فقدت كل تحكم في جهاز العصبي:
- حسن.. تريد هذه العظمة لغرض صنع حساء طبعًا؟!..
ورفعت العظمة في قبضتي كأنها هراوة، واتجهت نحوه ببطء راسمًا أعتى علامات الشر على وجهي.. فاصفرّ وجهه واخضرّ، ووثب كالفأر من كرسيه، وتراجع نحو الباب وهو يرتجف مرددًا:
- إنك لن تستطيع إيذائي!.. لن تضربني بهذه العظمة!.. إن (رمزي) يعرف أين أنا.. لقد أخبرته..!
- ومن هو (رمزي)..؟
- إنه جاري.. هو يعرف، و(البدري) يعرف، وزوجتي تعرف.. كل المدينة

تعرف..!.. إنك لن تجرؤ على....

- إذن لنر ذلك!!

قلتها وأنا أفتح باب الشقة، وأرمي به خارجه كأنه كيس قمامة، وصفقت الباب خلفه، وأنا أسمعه (يبرطم) ويهدد ويتوعد..، كان يصرخ:

- الأيام بيننا أيها الجزار..!! يا كانيبال..!!

وهكذا انتهي ذلك اليوم الكئيب.. والآن لم تعد لدي سوى الأخبار المعتادة لأحدثك عنها..

لم تحدث أشياء مريبة بعد خطابي الأخير، سوى المزيد من الدق في شقة الأستاذ زكريا.. والمزيد من تذاكر السفر الغامضة، من وإلى الإسكندرية..

ولا شيء آخر..

فكرت في خطابك الأخير أن (عزت) هو صاحب البصمات الموجودة على العظام، فما الذي يعنيه لك؟ ومارأيك أنت..

لا أعتقد أنه يقتل الناس في شقته، ويلقي بهم في المنور.. فهذا تخريج مبالغ فيه..

اكتب لي بالتفصيل.

أخوك: رفعت

❋ ❋ ❋

الأسكندرية في ٢٤ مارس ١٩٦٥

أخي (رفعت):

ضحكت كثيرًا وأنا أقرأ قصتك، عن ذلك العالم المخبول في شقتك.. إن هذه الأشياء لا تحدث إلا لك!..

ولو لم تقل لي إنه ناداك بالاسم، لظننت أنه كان يبحث عن شخص آخر مثل جارك

غريب الأطوار هذا..، وهو أيضا يهتم بالعظام مثله..
وإنني لأتساءل..
على كل حال لم يعد أمامك مفر.. لقد رتبت كل شيء لإقامتك عندي في الإسكندرية أسبوعًا أو أسبوعين، لأني بصراحة لم أعد مطمئنًا لإقامتك وحدك وسط كل علامات الاستفهام التي تعرفها.. كما أنني لست مستريحًا لسلامة أعصابك، ولا رجاحة عقلك بعد كل هذا..
أول ما ستفعله، هو أن تأخذ من كلية الطب إجازة طويلة.. وسيكون يوم لقائنا في ٥ أبريل القادم، وقد أعطيتك مواعيدي، بحيث لن تجد أية فرصة للتراجع، أو ترديد الاعتذار.
المخلص: عادل

* * *

القاهرة في ١٧ مارس ١٩٦٥

عزيزي بروفسور (كاثريل):

لقد زرته.. ولاشك لدي أنه رجلنا..!

قلت لي أن أبحث عن لهجة غريبة، وكان يتحدث من جانب فمه بشكل غريب جدًا.. كأن لسانه محترق!

قلت لي أن أبحث عن مظاهر ثقافة بدائية.. وكانت عنده تماثيل (زولو) تمثل طقوس أكل البشر.. وكان فخورًا بها..

وقلت لي أن أراقب طعامه.. وكان يأكل فخذ طفل مع الأرز والبازلاء!!

وحين حاصرته بأسئلتي المدروسة، تحول إلى شيطان يلتهب الشر في عينيه.. ووثب

على ملوحًا بعظمة الطفل، يريد تهشيم رأسي، لكني نجحت في الفرار بأعجوبة..

إنني أرتجف حين أفكر في كل ما حدث..!..

والآن ماذا سنفعل مع آكل البشر هذا؟!..

هل نبلغ الشرطة، أم أن لديك هدفًا علميًا أكثر شمولية، مما لا يصل إليه علمي المتواضع؟!

المخلص: د. محمد شاهين

* * *

ديترويت في ٤ مايو ١٩٦٥

بروفسور د. (شاهين).

أيها الزميل:

بالطبع لدي هدف أكثر شمولية..، لقد استطعت إثبات نظريتي القائلة، إن (الكانيبالزم) طبيعة في النفس البشرية، وإن

تذوق لحم البشر، قد دمر قرونًا من التراث الحضاري في نفس هذا الرجل.. وهو الآن - كالبدائيين - لا يجد متعة ولا لذة في أي لحم، مالم يكن لحمًا بشريًا وإنني لأعتقد أن لديكم مشكلة حقيقية في القاهرة..

لكني أملك خطة لا بأس بها، لإيقاف هذا الوحش دون أن ندمره، أو نحرم أنفسنا من دراسته كنموذج فريد...

وسأقول لك كيف..

* * *

٦ - عروس البحر...

الإسكندرية في ٦ ابريل ١٩٦٥

أخي العزيز (رضا):

قليلة جدًا هي المرات التي كتبت لك فيها خطابًا، ربما لأنك كنت دائما قريبًا من روحي، والخطابات تعنى بعد الشخص الذي نكتب إليه....

كيف حالك يا أخي؟.. أيها القريب البعيد.. وكيف حال أمي وأختي وزوجتك وأولادك؟.. كيف حال طلعت زوج أختي؟!.. وماذا عن الأرض ومشاكلها؟!..

لم أر أي واحد منكم منذ عودتي من أسكتلندا، ولمدة تسعة شهور كاملة، فهل أنا لا أعني شيئًا لديكم إلى هذه الدرجة؟!

وصلت - بالأمس فقط - إلى الإسكندرية لأمضى بعض الأيام، على سبيل (تغيير الجو) عند صديق لا أملك رفض طلبه.. وهو

العقيد (عادل توفيق) بمديرية أمن الإسكندرية.. هل تذكره؟

المهم أنها كانت لحظات لا تنسى، حين خرجنا إلى الكورنيش نتنزه.. والإسكندرية في فصل الشتاء لها سحر خاص، لا يفهمه سوى أمثالي ممن لا يحبون الزحام...

هواء البحر اضواء المطاعم والكازينوهات.. سحر الماضي لم يزل حيًا، وقد لحقت به أناقة الحاضر.. أي جمال!.. وأية عذوبة!

وكنت قد أحضرت هدية بسيطة لـ(أشرف) ابنه مما أعطى انطباعًا جميلًا عند زوجته (سهام)، التي رحبت بي في حماسة شديدة.. وقد أولمت لي وليمة رائعة جعلتني أنسى أيام (الجوع) إياها!!

وفي المساء جلسنا عنده في الصالة، نشاهد جهاز التليفزيون - وهو اختراع رائع حقًا -

حين وجدته يطلب منى أن أرتدي ثيابًا أنيقة، لأن زائرًا هامًا سيأتي بعد قليل..

نفذت طلبه وارتديت بذلتي الزرقاء.. الغريب في الأمر أنني وجدته يرمقني في اهتمام، وزوجته تتفحصني من رأسي لأخمص قدمي، في حين وقفت مرتبكًا كالأبله..، سأل زوجته وهو يشعل سيجارة:

- مارأيك؟

- ربطة العنق غير ملائمة.. يبدو لي كالمتشردين..

- أرى ذلك بالفعل..

ثم إنه دخل غرفة النوم، وعاد لي بربطة عنق أكثر أناقة، وطلبت مني أن أرتديها..

- لماذا؟..

- افعل ما أقول..

فعلت ما طلبه مني وأنا لا أفهم، في حين شرعت زوجته تتفض بالفرشاة آثار غبار على كتف الحلة، ثم تراجعت للوراء لتأخذ فكرة عن مظهري العام، كأنها فنان يضع آخر لمساته على لوحة رسمها.. وقالت:

- لا بأس.. الآن ارفع رأسك ولا تطرق بها كالمتسولين..

- حسن..

ما هذا الذي يفعلانه؟!.. و... جرس الباب يدق..

هرعت (سهام) إلى الباب، وفتحته، وسمعت صوت قبلات وعبارات مازحة، ثم إذا بفتاة ما تدخل من الباب وتنحني لتقبل (أشرف) الصغير الذي أخذ يتواثب كالقرد صارخًا:

- طانط (هويدا)!.. طانط (هويدا).!.

اكتسب صوت (عادل) نبرة معسولة وهو يقدمني للفتاة ويقدمها لي:

- د. (رفعت اسماعيل).. آنسة (هويدا عبد المنعم).. أخت زوجتي...!

أخت زوجتك!.. وأنا الذي تركتكما تعدانني لهذا اللقاء، كأني فتاة يعدونها للقربان في معبد وثني... يا لكما من لعينين!!..

وهكذا جلست - كالمساجين - مكتئبًا في ركن الغرفة، في حين جلست الفتاة مطرقة للأرض محتقنة الوجه، تداعب الطفل وتهمس له وتجلسه على ساقيها.. أنا أعرف هذا النوع من الحنان الذي يجدن إظهاره - أو التظاهر به - مدعيات أنهن ينسين كل شيء عن العالم حين يرين طفلًا!

وكان (عادل) يتحدث في حرارة.. (وسهام) تمتدحني، وتمتدح أختها بطريقة مبتذلة جدًا،

فهي بالتأكيد لا تعرف عني سوى ما يحكيه (عادل) لها، وبالتأكيد ليس شيئًا مشجعًا إلى هذا الحد..!

كنت أشعر أنني معروض في سوق للعبيد.. ولا أدري لماذا خيل إلى أن الفتاة تشعر بشعور مماثل...

هل هي تعرف..؟.. هذا مؤكد..

المهم أن جلسة العذاب هذه قد طالت، وأعتقد أنني أفهم ما يحسه الجالس فوق الكرسي الكهربائي بالضبط!!

كانت الساعة قد بلغت العاشرة مساء، حين نهضت الفتاة للانصراف، لأنها تأخرت.. وصافحتنا.. وصافحتني.. وللمرة الأولى ترفع عينيها تجاهي..

قال (عادل) دون كياسة:

- للأسف سيارتي معطلة، فلن أستطيع أن أوصلك يا (هويدا)...

قلت له في دهشة:

- ولكنك أخذتني بها إلى (ستانلي) منذ ساعتين؟

غمز بعينيه الاثنتين مرارًا وسحق قدمي بحذائه، ما جعلني أفهم أخيرًا.. فقلت لها:

- سأوصلك أنا يا (هناء)..

- (هويدا).. اسمها (هويدا)..

وسارعت (سهام) إلى إيصالنا للخارج، وهي تكاد تنفجر سعادة لمشهد لقاء (القلبين الجريحين) - أو ما تظنه هي - ووقفت تودعنا على (بسطة) السلم، كأنها تزفنا إلى بيت الزوجية.. لقد اطمأنت علينا أخيرًا...

وبعد نصف ساعة عدت للبيت.

قابلني (عادل) في لهفة.. وأجلسني في الصالة.. وسألني:

- ما رأيك؟

- في ماذا؟

- يا لك من أبله!.. (هويدا) طبعًا..

قلت له في صدق:

- لا أدري..

- ألم تتكلما في السيارة؟!

- ولا كلمة.. ظللنا صامتين كالأسماك حتى بيتها..

أخذ يسب ويلعن حماقتي وجهلي وقلة ذوقي، ويقول إنني أحرجته بعد كل ما فعل من أجلي، وأنه وزوجته منحاني كل ما يبغيه رجل ناضج عاقل يريد أن يتزوج.. ثم إنه انتزع مني ربطة العنق الأنيقة.. فقلت له:

- اسمع يا (عادل).. الأزرق لون جميل.. والأخضر لون جميل، لكنهما لا ينسجمان أبدًا، هكذا أنا وأخت زوجتك..

- بل ينسجمان يا أحمق!.. عندي (بول أوفر) يجمع اللونين..

- إذن فهو قبيح جدًا..!

- ثم من قال إنك أزرق؟.. أنت (أحمر) من أي شيء رأيته في حياتي!

والآن ستقول لي إنها لم ترق لك.. فما أدراك أنك أنت الذي لم يرق لها..؟

قلت وأنا أفك باقة قميصي:

- أنا لم أزعم شيئًا، ولم أطلب أن أضع نفسي - أو غيري - في أي اختبار..

إنني - أقسم لك - غير قادر على التعرف عليها بين أربع فتيات في عمرها.. ولا أعرف إن كانت جميلة أم قبيحة..

هز إصبعه في وجهي محذرًا:

- سأكف أنا و(سهام) عن البحث عن مصلحتك..

- هذا ما أتمناه..!

وهنا دق جرس الهاتف، فرفع السماعة وشرع ينصت ويزوم، مصدرًا عبارات قصيرة مؤداها أنه لم يتوقع ذلك، وأنه مندهش، وأنه أت على الفور.. ثم وضع السماعة وتصلب لحظة مفكرا في محتوى المكالمة التي تلقاها.. لقد نسي - لحسن الحظ - كل شيء عن تزويجي..

- حادث؟!...

- بل مصيبة..!

ثم ارتدي جاكت حلته.. ونهض داعيًا إياي أن أتبعه، لأن هناك ما يود أن يريه لي، ثم قذف لي بربطة العنق، داعيا إياي أن أعيد

ربطها.. وقال لزوجته إننا خارجان وقد نتأخر..

ركبنا سيارته ومضينا عبر شوارع الإسكندرية، التي قد بدأت تخلو من المارة في هذه الساعة..، وكان المطر قد بدأ ينهمر على الطرقات، وعلى زجاج السيارة التي تشق مصابيحها طريقًا في الظلام..، وبدانا ندخل شوارع أضيق وأقل نظافة.. وبدأت حركة السيارة تغدو أقل حرية..

لا أعرف الإسكندرية جيدًا، لكنني أعتقد أننا في مكان ما بالمنشية..

وكان هو صامتًا كالقبر.. ويدخن بشراهة، مما زاد إحساسي بخطورة ما نحن مقبلان عليه..

وعند ناصية الشارع رأيت مشهدًا غريبًا..

كأنه مشهد من فيلم سينمائي ملون..

سيارة الإسعاف واقفة، ومصباحها الفوقي يدور مرسلًا أضواءه ككرات نارية تحلق حول الواقفين.. وقطرات المطر تنهمر فوق الرءوس غير المبالية.. ثلاث سيارات شرطة واقفة، وبجوار واحدة منها يقف أحد الضباط، ممسكًا بميكروفون وجهاز لا سلكي يحدث جهة ما...

في حين اصطف رجال الشرطة يسدون الطريق بأجسادهم..

وكانت هناك أضواء فلاش، وعشرات الأشخاص الذين لا أعرف عملهم..

نزل (عادل) من السيارة، وفرد صدره واخترق صف الجنود الذين أصابهم ذعر شديد عندما رأوه، وأخذوا يؤدون التحية العسكرية في ارتباك..

لقد تبدل (عادل) في ثوان.. تحول إلى شخصية قيادية رهيبة، صارم الوجه حاد الملامح.. وقد نسي وجودي تمامًا.. لم أصدق لحظة أن هذا الرجل المرعب هو صديقي العتيد، والرجل الذي كنت أمازحه من نصف ساعة!

تبعته إلى قلب هذا الزحام، فرأيت شيئًا مغطى بملاءة عليها بقع دماء طازجة! وسمعت شابًا متأنقًا يقف بجواره يقول وهو يشير إليها:

- الساعة التاسعة تقريبًا يا سيدي.. نفس الظروف..

نفس الظروف؟.. ماذا يعني؟..

ثم لمحت رجلي شرطة، يقتادان رجلًا بائس المظهر، إلى حيث وقفنا.. وقال أحدهما بلهجة (عسكرية) صارمة:

- القهوجي يا فندم..
التفت إليه (عادل) وفي خشونة سأله:
- ماذا كان يلبس؟.. أجب..!



ثم لمحت رجلى شرطـة ، يقتـادان رجـلًا بائس المظهـــر ،
إلى حيث وقفنا ..

قال القهوجي وهو يرتجف (ولا ألومه على ذلك لحظة):

- كان.. كان نحيلًا يا (باشا)، ولونه أصفر غريب جدًا.. وكان يلبس حلة سوداء ومعه حقيبة.. و... وشرب شايًا ثقيلًا ثم دفع الحساب.. و... واختفى في الحارة..، وكان هناك جرح على خده..

أشعل (عادل) سيجارة أخرى وقال دون أن ينظر لأحد:

- بصمات؟!..

ارتفع صوت لم أر صاحبه يقول:

- كالعادة يا فندم.. كان يرتدي قفازًا..

هم م م م!

ثم أصدر بعض التعليمات لرجال المعمل الجنائي، وشق طريقه بين صفوف رجال الشرطة خارجًا، وأنا أهرع خلفه كالدجاجة

المذعورة.. وفي عصبية فتح باب سيارته، ومد يده إلى زر تأمين الباب ليفتحه لي..

قلت وأنا أسترخي في المقعد بجواره:

- حتى (عادل) (باشا) لا يطمئن على سيارته.. وسط كل هذا الحزام الأمني، لا ينسى أن يؤمن الباب..!

لم يعلق ولم يضحك..

أدار المساحات لتزيل قطرات الماء المنحدرة فوق زجاج النافذة، وأدار الكونتاكت.. وانطلقت السيارة في شوارع المدينة المبتلة..

كان شارد الذهن تمامًا، مما دفعني لاحترام صمته.. بعد لحظات.. قال لي وعيناه على الطريق المظلم:

- إن ما رأيناه الآن هو الحلقة الخامسة، من سلسلة جرائم قتل غريبة، كنت قد لمحت لك

بها من قبل..

في كل مرة يحدث نفس الشيء..

يجد أحدهم - في زقاق مظلم أو حارة منسية - جثة متسول أو عابر سبيل ممزقة تمامًا.. أطراف مبتورة.. وشرائح كبيرة من اللحم مفقودة، كأن هناك من قام بانتزاعها في صبر.. نفس ما يفعله الجزار مع ذبائحه المعلقة..

قلت في هلع:

- ما أبشع هذا..!

- ودائما نفس القصة عن رجل نحيل، لون بشرته غريب، يحمل حقيبة يشاهده أحدهم ينتظر في مكان الحادث قبلها، ويفر منه بعدها..

مرة واحدة قال الشهود إنه يركب سيارة زرقاء، لكن أحدًا لم يره بعدها يركبها..

- وهل له علاقة ما بالضحايا؟

قال وهو يشعل سيجارته العاشرة في هذا الوقت القصير:

- يصعب أن تتخيل علاقة تربط بين هؤلاء المتسكعين فهم مثلًا لم يطلعوا على وثائق إحدى عصابات المافيا، أو يسرقوا الميكروفيلم من عملاء المخابرات السوفيتية إذا كان هذا ما تعنيه...

- وهل هناك نظام زمني أو نوعي يحدد الجرائم؟

- آه..!.. أنت تتحدث عن أمثال (لص الثلاثاء) أو (سفاح الشقراوات) أو شيء من هذا القبيل..

للأسف.. إن هناك دائمًا نظامًا عقليًا محددًا، يعمل على أساسه أي سفاح يحترم نفسه.. إلا هذا الوغد.. إنه يقتل أي شخص في أي يوم،

في أي مكان، وفي أية ساعة من النهار..!..
العشوائية هي أساس عمله المقيت، وهو ما يجعل أية خطة لعمل كمين له غير ذات موضوع...

- ولكن ما جدوى التعتيم الإعلامي الذي تمارسونه..؟

- إن نشر هذا الذي قلته لك سيحدث هلعًا عامًا في الإسكندرية.. ولن يستفيد منه ضحاياه المقبلون ؛ لأنهم إما متسولون أو متشردون.. أي أنهم بعيدون تمامًا عن مدى التأثير الإعلامي في الصحف والراديو.. ولن يتعلموا شيئًا..

هل تعرف السبب الذي جعلني أحكى لك هذه القصة يا (رفعت)؟

قلت في غباء:

- الصداقة طبعًا..

انفجر يضحك.. ضحكة قاسية واثقة.. ثم قال:

- لا صداقة في العمل يا طبيبي العزيز.. ألم تفهم بعد مغزى ما سمعت وما رأيت؟!

إنك أنت من سيقودني إلى هذا السفاح..!

والآن يا (رضا) أرى أنني أطلت عليك في وصف حدث لا يهمك.. ولو أنك أردت استخلاص شيء من كل ما قلته في خطابي الطويل هذا - سبع صفحات - فإنك تستطيع أن تطمئن أمي علي، وتقول لها إنني رأيت عروسًا لا بأس بها لكني متردد..!

هذا هو كل شيء..!!

أما لماذا حكيت لك ما حكيت، فهو لأنني كدت أنفجر.. وكنت بحاجة لأن أسرد ما رأيت لأي شخص..

أما ما قاله لي (عادل) بعد ذلك، فهو سر لا أستطيع أن أبوح به حتى لك! تمن لي حظًا سعيدًا واكتب لي على عنواني بمصر إذا وجدت وقتًا..

شكرًا وإلى اللقاء.

أخوك: رفعت

* * *

٧ - هذا هو السر!

إلى هنا تنتهي سلسلة الخطابات التي ما زالت عندي عن هذه القصة، وكما لاحظ القارئ فهي تنقسم إلى قسمين.. خطابات

متبادلة بيني وبين (عادل) (وقد أرسل إلي (عادل) الخطابات التي كتبتها له لأضمها للمجموعة)، وخطابات بين البروفسور (كاثريل) ونظيره المصري د. (محمد شاهين)، وقد استطعت الحصول عليها فيما بعد.. ثم خطاب واحد لأخي (رضا) لم أرسله قط..

والآن لم يعد هناك مناص من العودة للأسلوب التقليدي في السرد، والاعتماد مرة أخرى على ذاكرتي في استرجاع الأحداث...

❋ ❋ ❋

لابد أن القارئ قد فهم محادثتي مع (عادل)، إنه يملك نظرية معينة عن سفاح الإسكندرية.. تلك النظرية التي يرى أن لي دورًا ما في إثباتها..

تعالوا معي إلى حيث توقفنا..
أنا وهو جالسان في سيارته في الظلام، وقطرات المطر لم تزل تنهمر على زجاج النافذة، وشوارع الإسكندرية خالية تماما من المارة...
هذا هو الجزء الذي انتهى عنده خطابي (رضا) أليس كذلك..؟!
فلنستمر إذن
قلت لـ (عادل) في دهشة:
- وكيف أقودك إلى السفاح؟.. إنني لا أعرف سوى طريقة واحدة هي أن أكون أنا هو؟
أخذ يضحك في ظلام العربة، وأنوار مصابيح الطرقات تلتمع على بعينيه.. وقال:..
- اسمع.. سنتعشى أولًا في البيت، ثم أشرح لك..

* * *

وبعد أن رفعت (سهام) - التي بدت على غير ما يرام تجاهي - صحون الطعام من على المائدة.. ونام (أشرف) الصغير في مقعده، طلب منها (عادل) أن تأخذ الطفل لفراشه، وأن تتركنا على انفراد..

ملت نحوه هامسًا:

- هل أخبرتها بموضوع (هويدا)؟.. يبدو أنها تكرهني بالفعل..

- أي أحمق كان يستطيع أن يرى أنك لم تعر الفتاة اهتمامًا..

ثم قشر برتقالة بالسكين ووضعها في طبقي قائلًا:

- إنها شقيقتها برغم كل شيء..

ثم أشعل سيجارة وشرع يشرح لي:

- الآن نعود لموضوعنا..

كنت أحدثك عن هذه الجرائم الغامضة التي تجتاح الإسكندرية، والتي لم نستطع أن نتقدم نحو مرتكبها خطوة واحدة..

كنت في ذلك الوضع حين جاءني خطابك الأول..

إن هذا الخطاب قد قدم لي الحل على طبق من ذهب..

أنت تعيش بجوار جار غامض نحيل، ولون بشرته غريب.. إن هذا الوصف ليس غريبًا على مسامعنا.. لقد سمعناه اليوم من القهوجي، هل تذكر..؟!.

ثم ماذا؟.. سيارته زرقاء.. ويسافر للإسكندرية مرارًا.. لاحظ هذا..

جار يأكل التوابل في منتصف الليل.. ويدق شيئًا ما في ساعات الفجر الأولى، ولا يتحمل

طعم الجاتوه..

جار يلقي بعظام آدمية في منور العمارة..

جار يزعم أنه ضابط بحري وهو كاذب..

جار يبدو كالمصابين بالفشل الكلوي، ويداه خشنتان، وبصماته مشوهة.. أعتقد أنك تفهم الآن ما أعنيه..

قلت في ذهول:

- هل تعتقد..؟

- نعم أعتقد.. لست متأكدًا لهذا أعتقد.. فقط أعتقد..

والآن تخيل معي ذلك الشاب المريض بمرض لا يمكن وصفه، يسافر عدة مرات إلى الإسكندرية، وينتظر في الأزقة المظلمة حتى يمر متسكع ما، ثم ينقض عليه ويصرعه..

وبعناية ينتزع قطعًا من لحمه وما يمكن اقتطاعه من أطرافه، ويدسها في كيس بلاستيك ثم يعود إلى القاهرة..

وهنا يبدأ الحفل الحقيقي...

في الليل يبدأ التقطيع والطهى، وإضافة التوابل، والدق بالهاون فوق الجيران.. وإلقاء العظام المتبقية من المنور...

إن معدته قد اعتادت أكل اللحم البشري، لا يمكن أن تستسيغ طعم الجاتوه.. وهكذا يمكننا فهم عدم فتح باب الشقة ليلًا مهما كان الطارق..

ويمكننا فهم خروجه الليلي الغامض، للتخلص من البقايا التي لا تؤكل..

ويمكننا فهم ملامحه المرعبة.. ملامح آكل البشر، ويداه الخشنتان هما بالتأكيد نتيجة

العمل اليدوي العنيف، الذي يمارسه بالساطور طيلة الليل!!

تقلصت معدتي وأنا أحاول ابتلاع هذه القصة..

وهمست....

- ياللهول!!

ثم تمالكت روعي وقلت:

- والتذاكر؟.. لماذا لا يسافر بسيارته أو باشتراك قطار..؟

ابتلع (عادل) فص البرتقال الذي يمسك به وقال:

- إنه ذكي.. وهو يعرف أن السيارة ستكون علامة مميزة يسهل اقتفاء أثرها، ولن يعدم شخصًا يلتقط أرقامها ويخبرنا بها...

أما الاشتراك فهو يتوقع - في ظروف ما - أننا سنبحث عن الذين يسافرون للإسكندرية

بانتظام، وهو حذر مبالغ فيه لأن هناك المئات غيره يفعلون ذلك...

اما التذاكر فهو يحتفظ بها حتى تتكدس.. ثم يلقيها في القمامة غير متوقع أن جارًا فضوليًا مثلك، يحب أن يعبث في صناديق قمامة الجيران...

- والعظام.. لماذا لا يلقيها بعيدًا؟!...

تنهد (عادل) في استسلام.. وقال:

- هذا هو موضع الضعف في نظريتي.. لماذا لا يلقيها بعيدًا عن دائرة الشكوك؟

على كل حال يصعب معرفة الدوافع النفسية المعقدة، التي تحرك آكل لحوم البشر.. فقد يدقق في لحظة ويهمل في لحظة.. لا أدري..

على كل حال هي مجرد نظرية ينقصها الإثبات الحقيقي..

تفكرت حينًا في اشمئزاز وتقزز.. لقد كنت بمفردي، مع هذا الوحش ليلًا! بل لقد تمنيت صداقته يوما ما!.. والآن ها هو ذا الرعب الذي تركته في انجلترا ورومانيا واسكتلندا وكفر بدر، يسبقني اليوم إلى شقتي الهادئة!!

سألت (عادل) وأنا أنظر لنجفة السقف:

- وهل أخبركم أن (عزت) سافر للإسكندرية اليوم؟

- من هو الذي أخبرنا؟

- بائع (البطاطا) في شارعنا..! إنه رجلكم طبعًا!

نظر إلى في دهشة، وشبح ابتسامة خبيثة يتلاعب على شفتيه:

- ما هذا الكلام الفارغ؟!

قلت له في برود:

- ليس كلامًا فارغًا.. إن بائع (بطاطا) يظهر في شارعنا الراقي - ولأول مرة منذ عشرين سنة – لا يعني سوى أنه شرطي سري لم تجيدوا إخفاءه!!

أخذ يضحك.. وقال من بين أسنانه:

- حقًا أنت ذكي.. وأرجو ألا يكون (عزت) بهذا الذكاء..؟

- منذ متى..؟

- منذ متى نراقبه؟.. منذ ١٩ يناير الماضي.. أي ما يقرب من ثلاثة شهور.. منذ حدثتني عن العظام، ووجدت بصمة الرجل عليها..

وليس بائع البطاطا هو الوحيد، بل إن هناك حوالى عشرة من رجال الشرطة السرية، أرسلتهم مديرية الأمن عندكم، بناء على اجتماع عالي المستوى، درسنا فيه خطاباتك وشكوكي الخاصة...

- والنتيجة؟..

- سلبية..إما أننا مخطئون، وإما أنه لاحظ رجالنا مثلما لاحظتهم أنت.. إنه قد كف عن السفر والخروج ليلًا.. أضف إلى ذلك حماقتك في أخذ بصماته على الكوب، مما أشعره أن شيئًا ما يدبر له..

- وهل سافر إلى الإسكندرية هذه الليلة؟.. وهل سيعود إلى العمارة حاملًا كيسًا مليئًا بأشياء معينة؟

- لم نعرف بعد.. لم يقدم الرجال هناك تقاريرهم ؛ لهذا أنتظر بجوار الهاتف..

- ولماذا لا تداهمون شقته هذه الليلة، وتضبطون ما تجدونه لديه؟

- أنت لا تفهم القانون..

ونهض يمشي في الغرفة مطرقًا برأسه:

- إن هذا السفاح مواطن.. وله حقوق، ولا يمكن أن نداهم شقته دون إذن من النيابة التي يجب أن تجد أسبابنا مقنعة، وهذا ما لا أتوقعه.. ثم استدار إلى هاتفا:

- شيء آخر جدير بذكره..

هذا الأستاذ الجليل الذي زارك في شقتك.. (محمد شاهين)..

- ما شأنه هذا المتطفل..؟

- لقد عرفنا بوسائلنا أنه قد سأل البواب عن ساكن للعمارة اسمه (ثروت) أو (طلعت) أو شيء من هذا القبيل..

وقد تطوع البواب - وهو لا يحبك كثيرًا - بذكر اسمك.. وقال إنك مريب وغريب الأطوار.. و.. و.، وتطوع الجيران بالمزيد من الاتهامات لك.. إن سكان عمارتك يمقتونك بشكل يجعلني أسائل نفسي..!

وهكذا قام الرجل بزيارتك، تلك الزيارة التي وصفتها لي في خطابك بتاريخ ١٧ مارس..

تأمل معي ما حدث..

الرجل يبدو مذعورًا بلا سبب.. حذرًا بلا مبرر..

إنه يرمق طعامك ويريد عينة منه، ويتأمل تماثيل أكلة البشر في اهتمام..

ويغمى عليه تقريبا وهو يشاهدك تأكل اللحم..

إن الرجل يتصرف كأنه يعرف أنه في شقة آكل لحوم بشر..

صحت في ذهول وقد بدا لي كل ما فعله الرجل منطقيًا:

- الآن فهمت..!.. ولهذا أخبر كل من يعرفه بأنه آت لزيارتي..!

- ثم إذا أنت تأملت الموقف لفهمت.. كان يبحث عن (ثروت) أو (رأفت)، فقال له البواب إن اسمك (رفعت)..، الواقع أنه كان يبحث عن (عزت)!

وكلاهما - رفعت وعزت - غريب الأطوار ومعقد ويعيش بمفرده!!

وهذا يعني أن الأستاذ (محمد شاهين)، يبحث مثلنا عن نفس الشيء ونفس الشخص..

إنه يمسك بالطرف الآخر من الخيط الذي نمسكه نحن.. وفي وسط الخيط يتدلى (عزت)..

لهذا يجب أن نعرف ما يعرفه هذا الأستاذ..

كنت جالسًا صامتًا ومهمومًا، مما جعل (عادل) يسألني عما بي.. فقلت:

- إنهم جيراني الأشقياء.. وأنا الذي كنت معهم في غاية الأدب والتهذيب..

أرأيت ما يظنون بي؟!.. أنا آكل لحوم بشر؟!

- إن المصريين لا يحبون المنطوي، ولا يستريحون له بشكل عام.. إنهم يفهمون أن تكون وقحًا، أو أن تكون صاخبًا، أما أن تكون منطويًا مهذبًا غامضًا، فهم يظنون بك الظنون..!

استرخيت في مقعدي.. وتنهدت قائلًا:

- والآن.. هل بحثتم عن (محمد شاهين) هذا؟!

- المعلومات التي لدينا تقول إنه أستاذ فاضل.. رجل لا غبار عليه سوى طيبته الشديدة التي تصل لحد السذاجة.. لكننا لم نسأله بعد عن مصدر معلوماته..

أما عن (عزت)، فلا نعرف أي شيء عنه.. أقاربه.. عمله الحالي أو السابق.. لا شيء سوى ذهابه للتسوق، وللبنك حيث يسحب من

حساب لانعرف مصدره، وقيمته ثمانية آلاف جنيه، ولا نعرف وجهته الليلية كما قلت آنفًا.. والآن..

وهنا دق جرس الهاتف، فوثب قلبي إلى فمي، وأجفل (عادل).. ثم تمالك نفسه والتقط السماعة.. كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل:

- هم م م م!..أضاعوه؟.. الحمقى!.. ضللهم؟!.. هم م م م!.. الواحدة صباحًا؟!.. نعم.. نعم!.. ثم ماذا؟.. آه..!.. آه!.. علاء قال هذا.. أنت متأكد..!.. حسن...حسن.. ألف شكر..

ووضع السماعة في تؤدة ثم رفع راسه... وكانت علامات السرور مرتسمة عليه..

- هل تعرف ما حدث؟ "

- أعتقد أنه قد نجح في تضليل رجالكم في أثناء خروجه من منزله.. وهكذا لم يتأكدوا من سفره للإسكندرية ولكن علاء - وهو طبعًا أحد مخبريكم - قد وجد دليلًا واضحًا ضده في الواحدة صباحًا..

صاح في غيظ:

- إذا لم تكف عن تظاهرك المستمر بالذكاء، فلن أحكي لك شيئًا!!

- حسن.. حسن.. لن أستنتج شيئًا.. ولكن قل لي..

- يقولون إنهم فقدوا أثره عند نزوله من البيت..

- لقد قلت أنا ذلك!

- إلا أنهم شاهدوا عودته. في الواحدة صباحًا وكان يحمل حقيبة كبيرة ثقيلة.. وبالطبع

يرتدي ثيابًا سوداء..أما أهم شيء فهو أنه.. ونظر لوجهي في رزانة مردفًا:

- كان يضع قطعة بلاستر على خده..!!

* * *

٨ - مغامرة صغيرة..

عندما انتهت إجازتي صافحني (عادل) وعانقني.. كما أن (سهام) صافحتني في نوع من الفتور.. وحتى ذلك الشيطان الصغير (أشرف) اشرأب بثغرة نحو خدي.. فانحنيت عليه كي يستطيع أن يلثمه..

قال (عادل):

- والآن تذكر ما قلته لك.. وحافظ على نفسك

ثم قادني للباب وهناك همس لي:

- و.... فكر مرة أخرى في موضوع (هويدا)... أنت بحاجة لزوجة ترعاك، وهي بحاجة لزوج يحميها.. ثم إنها ليست سيئة أبدًا..

وعلى درجات السلم أخذ يكرر على مسمعي ما اتفقنا عليه..

- لابد أن تليفونك يعمل الآن.. فاتصل بي بانتظام.. ولا تخش شيئًا.. رجالنا يلاحظون كل صغيرة وكبيرة، وتكفي إشارة واحدة لأي منهم كي يمزقوه إربًا..

* * *

كان هذا هو اليوم الثامن من ابريل..

إن إجازتي لم تتجاوز في الاسكندرية الجميلة أكثر من ثلاثة أيام.. لكنني ما زلت أملك الفرصة للعودة هناك، بعد أن ينتهي هذا الكابوس.. وفي حجرتي جلست أستمع للراديو، وأتسلى بالرسم على (بلوك نوت) قديم وجدته..عبئًا حاولت، لكن أي وجه رسمته كان هو وجه (ماجي) الحبيب...

لقد تسلطت حتى على أصابعي وعلى قلمي..

كيف يحيا كل هؤلاء الرجال سعداء وراضين، في حين لم يتزوج (ماجي) سوي واحد فقط!!

الساعة الآن الثانية عشرة مساء.. لقد حان الوقت..

رفعت صوت الراديو ليعرف من يتنصت علي، أنني في الشقة...

ثم ارتديت ثيابي وحذائي الكاوتشوك إياه، والبطارية والمسدس المرخص.. ولعل القارئ يذكر أن آخر مرة ارتديت فيها هذه الثياب، كان للقاء النداهة في تلك الليلة الرهيبة في قريتي كفر بدر..

ثم وقفت خلف الباب أتصنت، حتى سمعت صوت الرتاج يفتح من الشقة المجاورة، وصوت الخطوات المألوفة تنزل السلم.. أطفأت نور غرفتي كي لا يرى خيالي، وخرجت للشرفة.. فلمحته يسير - دون أحمال - في الظلام.. وحين وصل لنهاية الشارعٍ، رأيت خيالًا يتحرك ويبدأ السير وراءه حثيثًا..

إن المخبر السهران يؤدي عمله جيدًا....

لقد كان (عادل) مصيبًا حين توقع أن (عزت) سيعود لرحلاته الليلية الغامضة، بعد الجريمة الأخيرة ؛ لأنه لابد من أن يتخلص

من الفضلات المتبقية في البيت.. لكنني لا أفهم السبب الذي يجعله لا يحمل شيئًا في يده..

والآن حان وقتي أنا..

فتحت باب شقتي وبحذر مشيت إلى باب (عزت)...

مددت يدي إلى جيبي، وأخرجت مفتاح (الماستر كي) الذي أعطاه لي (عادل)، ويصلح لفتح كل أنواع الأقفال..

مددت يدي للقفل، وببطء وحذر أولجت المفتاح فيه، وأدرته و.... تك**!** انفتح القفل دون مصاعب..

والآن هل أدخل؟**!**.. لقد قال لي (عادل) أن أبلغ الشرطة السرية، في الليلة التي أدخل فيها شقة (عزت)، حتى يراقبوا لي مدخل العمارة خشية أن يعود فجأة..

لكني وجدت في ذلك حذرًا مبالغًا فيه.. لن يستغرق الأمر سوى خمس دقائق، بعدها ينتهي كل شيء، ثم إن الهدف من قيامي أنا بهذه المغامرة، هو العمل على عدم إقحام رجال الشرطة في شيء ما قد يمكن محاميًا بارعًا من هدم القضية كلها أمام المحكمة يومًا ما..

وهكذا دخلت.. ولم أوقد المصابيح طبعًا..

أطلقت شعاع البطارية في الشقة يمسح الجدران في هدوء.. وكانت هناك رائحة عضوية ما تملأ الجو وتشعرني بالغثيان..

. وفي الصالة لمحت الشيء الذي كان يبحث عنه الأستاذ (شاهين) في شقتي أنا.. مجموعة تماثيل أفريقية موضوعة على مائدة تتوسط المكان..

وكانت هناك عدة لوحات تجريدية شاذة على الجدران..

بدأت أتفقد الغرف وقلبي يرتجف.. وكانت غرفة نومه مهملة تسودها الفوضى، وبجوار الفراش بعض الكتب والمجلات، وعلى الجدار - في إطار قديم - كانت صورة لإحدى الفتيات، وبجوار الصورة كان هناك إطار أخر، يحوي قصاصة جريدة، بها خبر عن سقوط طائرة شركة بترول في الصحراء الغربية..

ولم أفهم معنى هذه القصاصة وقتها..



وكانت غرفة نومه مُهملة تسودها الفوضى ، وبجوار الفراش بعض الكتب والمجلات ، وعلى الجدار ــ فى إطار قديم ــ كانت صورة لإحدى الفتيات ..

أما الذي أثار اهتمامي، فكان مكتب في ركن الحجرة، عليه عظام بشرية من أجزاء مختلفة، وكلها مصقولة بيضاء!.. جمجمة.. ضلوع.. عظام فخذ.. عظام ساعد.. فقرات.. وكان هناك سلك و(بنسة)، مما يوحي ان هناك محاولة ما للحام بعض القطع ببعضها الآخر، كما كنا نصنع في كلية الطب في شبابنا..

هل هذا يكفي؟.. كلا.. لقد أبقيت الغاية للنهاية.. لابد لي أن أرى المطبخ، وأن أفتح الثلاجة..!!

دخلت المطبخ.. وكان مهملًا قذرًا ككل غرف البيت.. وكان الحوض مليئًا بالأطباق مثلما قال لي بالضبط..

وعلى رخامة المطبخ، كانت هناك سكين كبيرة.. ثم.. ثم أياد بشرية طرية، اكتسبت

لون الموت القاتم!.. لقد وجدت ما كنا نبحث عنه..

تغلبت على اشمئزازي، وفتحت الثلاجة.. كانت الرفوف مليئة بأجزاء بشرية متنوعة بكامل لحمها..!، لم أجرؤ على أن ألمس شيئًا ولا أن أدع شيئًا يلمسني برغم أني طبيب.. إن رعب الموقف قد أذاب أي منطق علمي

يجب أن أفر..

. يجب أن أعود لشقتي الآمنة، وأغلق الباب بالرتاج..

يجب أن أخبر (عادل) بكل شيء..

وهنا سمعت الباب الخارجي يفتح بالمفتاح..!

لقد عاد الرجل..!

تصلبت في مكاني، وقد تلاشى تفكيري تمامًا.. فقط أطفأت البطارية.. جريت إلى باب الحمام وفتحته، ودخلت وأغلقته خلفي.. كان

الظلام دامسًا بالداخل، إلا أنني حين اعتادت عيناي الإضاءة، استطعت تمييز أشياء شنيعة لا أعرف كنهها تملأ حوض البانيو..

وسمعت صوته يمشي في الصالة.

ثم سمعته يفتح عدة أبواب، وكأنه يفتش عن دخيل ما..!

اقتربت الخطوات من باب الحمام، فتجمدت خلف الستارة..

وسمعته يهتف بصوت عال كأنه يحدث شخصًا ما يعرف أنه موجود:

- اخرج من مكمنك!.. أنا أعرف أنك هنا.. لقد لمحت ضوء بطاريتك من الشارع..!!

يا لي من أحمق!.. حين دخلت الشقة دون أن أخبر أحدًا.. وأحمق حين فاتني أن أرخى الستائر على النوافذ الزجاجية قبل أن أضيء بطاريتي..

والآن لم يعد هناك مفر..
إنها معركتي التي ستحدد كل شيء..
أخرجت منديلي وربطته حول أنفي على شكل لثام، لكي لا يتعرف علي إذا ما تصادف ونجا كلانا من الصراع القادم..
وفي لحظة وثبت نحوه كالمسعور وقد زادني الخوف شراسة..
بمجمع قبضتي هويت على مؤخرة عنقه، ثم وجهت ركلة لأسفل بطنه حين استدار - وقبل أن يفهم شيئًا - ثم لكمته بكل ما أملك من قوة في أنفه..
وانطلقت أجري. في حين تهاوى هو كالبالون المثقوب من خلفي..
ظلام الصالة.. التماثيل الأفريقية.. الباب.. الرتاج.. الطرقة..
ثم شقتي..!

لا أدري كم من الوقت قضيته راقدا على الفراش مذهولًا، لا أدري من أنا وأين أنا.. قلبي يتواثب كالحصان في صدري.. قلب لم تعد شرايينه تمده بحاجته من الأكسجين.. الدوار.. الظلام...

وحين أفقت.. نهضت مترنحًا إلى التليفون... وطلبت رقمًا في الإسكندرية..

* * *

صباح اليوم التالي، كنت جالسا في الكلية مع طلبتي في غرفة الدراسة، أشرح لهم - وأنا لم أزل منهكًا - أعراض الأنيميا الخبيثة، حين دق أحدهم الباب في رزانة دقات متتابعة..

استعددت كي أوبخ ذلك الطالب المتأخر بكلمات صارمة ثقيلة الوطء، ثم أدعه يدخل.. حين انفتح الباب بحذر كاشفًا عن رأس أصلع

يرتدي نظارة سميكة مضحكة!، ونظرة ذهول بلهاء ارتسمت على وجه الأستاذ (محمد شاهين)، وهو يراني وسط طلبتي.

- أنت؟!..

- وأنت؟!..

- لم.. لم أصدق ذلك حتى رأيت بعيني..!

- حسن.. تعال واجلس حتى أنهي محاضرتي ثم نتكلم.. هناك كلمة اعتذار من حقي أن أقولها لك!

- وأنا كذلك!..

وهكذا جلس مع الطلبة يتابع محاضرتي، وأنا أكاد أسمع الأفكار التي تتضارب في ذهنه....

وبعد انصراف الطلبة، جلس إلى جواري وفتح فمه ليتكلم، إلا أني قاطعته:

- لست أنا آكل لحوم البشر الذي تبحث عنه!.. هذا هو كل شيء.. إن رجلك هو (عزت) وليس (رفعت)، وإني لأعتذر...

- لقد.. لقد سألت عنك فقالوا إنك هنا.. كنت واثقًا أن من يتحدثون عنه هو (رفعت إسماعيل) آخر..

وشرعنا نتبادل الإيضاحات، التي جعلت كل جوانب القصة مضيئة كالشمس.. واعتذر لي عن وقاحته وفضوله، واعتذرت له عن إلقائه ككيس القمامة خارج شقتي..

وحكى لي قصة المهندس (شاكر)، وحكيت له ما يمكنني حكايته - دون أن أفشي أسرارًا هامة - من قصة (عزت شريف)...

وحين افترقنا - على وعد بالاتصال الدائم - كنا قد صرنا أصدقاء..

* * *

كانت خطة (عادل) تقترب من نهايتها:..

وبرغم لومه لي في التليفون على حماقتي، فإنني كنت - وكذلك هو - مطمئنًا إلى أن حادثة الأمس لم تؤد إلى نتائج لا يمكن إصلاحها.. وأن (عزت) سيظن أن لصًا محترفًا زار الشقة لغرض ما.. وهو قطعًا لن يجرؤ على إبلاغ البوليس، حتى يتجنب معاينة شقته..

هكذا ظننا..

وكنت - كالعادة - ساذجًا..!

* * *

٩ - المواجهة..

في الخامسة عصرًا كنت قد انتهيت من غذائي حين دق جرس الباب.. كنت لم أدفع إيجار الشهر بعد ؛ ولذا توقعت أنه البواب.. ذهبت لغرفة النوم، وأخذت ثلاثة جنيهات من جيب جاكت الحلة، ثم اتجهت إلى الباب وفتحته..

كان طارق الباب هو (عزت)..!!

كان يقف على الباب في رزانة، وابتسامة ما تتلاعب على شفتيه.. وأنفه متورم من جراء لكمة الأمس، وقد دس في فتحتيه قطعتين من الشاش، وكانت يداه في جيبه.. لم يكن منفرًا إلى هذا الحد، لكني كنت أخشاه كثيرًا..

لم أتوقع أبدًا أن يزورني عصرًا..

- هل تسمح لي بالدخول؟!

لم أدر ما أقول.. إنني لم أرفض دخوله قط، فلا داعي لإثارة ريبته في هذه الظروف بالذات، أشرت برأسي له أن ادخل.. فدخل في تؤدة وهو يرمقني بنظرة حادة ثابتة..

- هل كنت تأكل؟!...

- لا..

- على كل حال لن أضيع وقتك.. إن حياة العزاب هذه..

ومد يده في جيبه - أعني أخرجها - ليريني شيئًا ما..

- هل هذا يخصك؟!..

كان كفه مفتوحًا وفيه بطارية.. البطارية التي كنت أحملها معي حين دخلت شقته بالأمس..!.. البطارية التي نسيتها في الحمام حين اختبأت به، ثم فررت من الشقة ناسيًا كل شيء عنها..

والآن.. سأكذب كذبة صغيرة لكنه لن يصدقها، فتحت فمي فقال بصرامة:

- لا تكذب..!.. أنا أعرفها جيدًا.. لقد تأملتها وأدرتها في كفي في زيارتي الأولى لك، وكانت موجودة على مائدة غرفة الجلوس.. والسبب هو أنني لم أر مثلها أبدًا.. إنني لم أر من قبل بطارية مصنوعة في رومانيا..!!

- أنا... أنا..

- هكذا.. اتضح لى كل شيء..

ثم نظر في عيني في ثبات.. وهمس من بين أسنانه:

- والآن هل تتفضل بالإيضاح؟.. ما السبب الذي دعاك للتسلل إلى شقتي ليلة أمس؟.. ولماذا حاولت قتلي وكدت تكسر أنفي..؟!

ولمحت يده اليسرى تخرج من جيبه وفيها.. مطواة قبيحة الشكل، شهرها في وجهي وهو

يقول:

- تكلم..!

لقد انتهى زمن الأقنعة.. ولم يعد لديه سبب للتظاهر بالمودة، ولم يعد لدي وقت للتظاهر بالسذاجة.. إنه يعرف أنني أعرف أنه يعرف!

ولم يعد أمامي إذن سوى الصراخ.. والصراخ فقط.. لكني سأؤجل ذلك حتى آخر لحظة..

قلت له في هستيريا:

- ابتعد عني يا آكل البشر؟

- ما هذا الهراء..؟!

- اسمع يا صديقي.. أنت في مأزق!.. إن كتيبة كاملة من رجال الشرطة تحاصر البيت.. وهم على استعداد لتمزيقك بمجرد سماع صرخة مني.. صرخة واحدة.. والآن ناولني هذا السلاح قبل أن يؤذي أحدًا..

علامات دهشة حقيقية على وجهه وتساؤل:
- ما هذا السخف؟.. أي رجال بوليس.. وأي..
هل عيناي تخدعانني أم أنه يرتجف؟.. يرتجف وقطرات عرق بارد تسيل على وجنتيه.. عيناه زائغتان.. شفتاه ترتعشان.. ثم.. تهاوى على الأرض كما يموت الثور في نهاية مباريات المصارعة الإسبانية، بعد ما تدميه جروحه.. وكان أول شيء فعلته، هو أنني أخذت المطواة من قبضته المتراخية..
ثم بدأت أفحصه..
ان هذا الفتى مريض حقيقة، ولا يدّعي شيئًا.. ماذا دهاه؟.. النبض المتسارع.. العرق البارد.. الضعف.. العام.. لا أعرف سببًا لكل هذا، لكني لن أتركه يموت كالكلب العقور أمامي، حتى ولو كان آكل لحم البشر..

سارعت إلى جهاز ضغط الدم الخاص بي، ولففته حول ذراعه، وبدأت أنصت.. لكن.. لابد أن هذا الفتى يمزح معي..
من المستحيل أن هذا هو ضغط دمه الحقيقي..!



سارعت إلى جهاز ضغط الدم الخاص بى ، ولففته حول ذراعه ،
وبدأت أنصت ..

ولمحت شفتيه ترتجفان وهو يهمس في ضعف:

- اسرع..!.. كـ.. كورت.. كورتيزو...

حسن.. حسن.. إن هذا الوحش يعرف ما يناسبه من علاج، ولئن كان قراري صائبًا أو متهورًا، فإن عندي: أمبولين من (الكورتيزون) ومحقنًا زجاجيًا... لن يتسع الوقت لغليه.. على كل حال هو لم يستعمل بعد..

وهكذا كسرت الأمبولين، وملأت المحقن وأفرغته في وريده..

لقد بدأ يتحسن لاشك في هذا..

ولا أدري إن كان هذا من حسن حظه، أم من حظي... على أن لدي نظرية معقولة عن حقيقة ما أمامي، لا ينقصها سوى البرهان

الذي سيقدمه لي هذا التعس عندما يفيق تمامًا..

* * *

الآن نحن جالسان على مائدة الطعام نتبادل النظرات..

هو على طرف المائدة ينظر إلي في خمول وضعف وهو يرتجف.. وأنا على الطرف الأخر ألوح بالمسدس في يدي، وأنا أرمقه في شك وتوتر..

ربع ساعة مر علينا في هذا الوضع..

- والآن..؟

قلتها في صوت حاولت أن أجعله قاسيًا.. فلم يرد علي وأطرق..

- أنت مصاب بفشل الغدة فوق الكلوية، أو ما يسمونه (مرض أديسون).. أليس كذلك؟

- بلى.. هذا هو الاسم الذي قالوه لي..
قالها وهو يرفع وجهه نحوي في دهشة.. فقلت:

- وأنت لا تتحمل أي نوع من الجهد العصبي أو البدني ومصاب بإسهال؟

- نعم.. بالفعل..

- إن هذا يفسر الكثير.. إن مرض (أديسون) ينجم عن عدم قدرة الغدة فوق الكلوية على إفراز مادة الكورتيزون..

والنتيجة.. هزال شديد.. ضعف عام.. انخفاض مريع في ضغط الدم.. خشونة غير عادية في الكفين، ثم ذلك اللون الأسمر الغريب الذي أثار ارتيابي ودهشتي..

إن حالتك الآن واضحة، وعلاجها الوحيد هو الكورتيزون، وأنت تعرف ذلك خيرًا مني.. لكنه علاج يستمر مدي الحياة..

وأعتقد أن رغبتك في التوابل لها علاقة ما بمرضك..؟

نظر إلى كفه في شرود وقال:

- إنها تلك الرغبة المجنونة إلى الملح!.. أحيانًا تصيبني حتى أكاد أجن!

قلت في ثقة وأنا أضع المسدس على المائدة في متناول يدي:

- هذا بسبب احتياج جسمك إلى الصوديوم.. المادة التي يفتقر إليها في مرض (أديسون) هذا.. ولعل ذلك، هو سبب عدم تحمل معدتك لطعم الحلوى..

وأظن أن هذا المرض سبب اكتئابك وانعزالك وغرابة أطوارك، لأن له - أيضًا - جانبه النفساني..

هز رأسه مؤيدًا في ضيق..

بعد فترة صمت قصيرة قلت له وأنا أشعل سيجارة:

- والآن هناك أشياء معينة لا أفهمها..

لماذا استقلت من عملك بعد حادث الطائرة؟ ولماذا غيرت اسمك وسكنك؟

نظر إلى في ذهول.. وهتف:

- كيف عرفت؟!

- أنا أعرف كل شيء عنك تقريبًا.. والآن أجب عن سؤالي..

رفع رأسه للسقف.. وتنهد:

- كانت أعراض المرض قد ظهرت على.. تغيرت ملامحي وطباعي..

ولم أرد أن أرى علامات الرعب أو الشفقة على وجوه من أحببت، ولم أرد أن أؤذيهم بيدي أو بلساني.. لهذا تركت عالمي إلى أرض أخرى لا تعرف اسمي أو وجهي،

استبدلت معاشي وبعت قطعة أرض صغيرة أعيش من ثمنها حتى اليوم.. ولهذا تجنبت كل جيراني...

- سؤال آخر: ماذا كنت تأكل في الصحراء قبل أن ينقذوك؟؟

بدت علامات الاشمئزاز على وجهه.. وهمس:

- أي شيء.. فئران.. أفاعي.. سحالي، أما زملائي فكانوا قد ماتوا وتكفلت بهم الذئاب.. كنت أعرف قواعد التغذية السليمة من أيام (فرق الصاعقة) ؛ لهذا احتفظت بكامل صحتي...

- آه..!.. جزء آخر من لغزك يتضح لي..

- لحظة!.. بأي حق تستجوبني؟!

مددت يدي للمسدس ورفعته نحوه:

- لأني أنا الذي أمسك المسدس، ولو كنت أنت الذي تمسكه لكان من حقك أن تعرف كل شيء عني..!!.. سؤال آخر: كيف جئت بقطرات المطر في تلك الليلة ولم تكن تمطر؟!

- أنا لم أقل لحظة إنه مطر.. كنت أحاول إصلاح (الدش).. وأنت تعرف مشاكلي الأبدية مع السباكة في شقتي..

ألقيت السيجارة على الأرض محاولًا أن أبدو مرعبًا.. وقلت:

- لم يزل لدى المزيد من الأسئلة...

كيف تفسر العظام التي ترمي بها من المنور.. ونزهاتك الليلية الغامضة؟

ثم - وقبل كل شيء - الأجزاء البشرية الممزقة التي تملأ شقتك؟.. غرفة النوم.. المطبخ.. بانيو الحمام..

نظر إلى في حدة.. وغمغم وقد تصلبت قبضتاه:

- منذ متى يسأل اللص صاحب البيت عن تفسير لمحتويات بيته..؟!

نهضت في عصبية حقيقية.. وركلت الكرسي:

- ألم تفهم أيها السفاح أنك قد انتهيت؟.. إن رجال الشرطة يعرفون كل شيء عنك، إن قتيل الإسكندرية هو آخر لحم بشري تذوقه في حياتك..!

- لحم بشري..؟ أذوقه..؟

وأخذ يتفكر قليلًا في كلامي.. ثم انفجر ضاحكًا.. ضاحكًا يستمع إلى كلامي وأسئلتي واتهاماتي.. ضاحكًا يلتقط أنفاسه، ثم إنه نهض غير عابئ بمسدسي، وأمسك بذراعي.. وفي رفق - كأنه يأخذ طفلًا إلى الملاهي -

دعاني أن أصطحبه إلى شقته.. فقلت متراجعًا للوراء..

- سر أمامي أولًا..!

* * *

وفي شقته الكئيبة، دعاني إلى المطبخ.. وفتح الثلاجة وأخرج تلك القطع الآدمية الممزقة.. ودعاني أن ألمسها، ترددت.. لكنه أصر.. ومد إصبعه يضغط بها على إحداها..

أمام عيني المذهولتين، لمحت أثر إصبعه واضحًا غائرًا في اللحم!...

- هل ترى؟.. هذا صلصال!.. كل القطع التي رأيتها أمس كانت قوالب صلصالية.. بروفات تماثيل أكبر حجمًا..

إنني أمارس النحت على نطاق واسع.. وأعتقد أنك - على ضوء البطارية والرعب

المسيطر عليك - فقدت القدرة على التمييز...
انتابني الذهول.. لكني كنت مصممًا على التأكد، حتى آخر قطعة صلصال وجدتها في حوض الحمام.. لم يكن ثمة شك في هذا.. كلها قطع بريئة، تم تشكيلها ببراعة فائقة ودقة تشريحية متناهية!
ولأول مرة - منذ ساعة. لم أجد داعيًا للمسدس، فوضعته في جيبي وسألته، وقد فقدت أكثر عدائيتي إن لم يكن كلها..
- والعظام؟.. هل لديك تفسير لها؟!..
ابتسم في رقة.. وجلس على حافة البانيو قائلًا في شرود:
- لقد فقدت جذوري وأصدقائي، وأصبت بمرض عضال..
لهذا في وحدتي قررت أن أعيد تشكيل ذاتي.. لقد أردت دائمًا أن أكون فنانًا عبقريًا

مثل (أوجست رودان).. هل تعرفه؟
- لا..
- إنه مثال فرنسي عبقري، لابد على الأقل أنك رأيت تمثاله (المفكر)..
وهناك. حيث جلس على حافة البانيو - وضع قبضة يده تحت ذقنه، وقطب جبينه محاكيًا ذلك التمثال الشهير الذي أعرفه بالطبع..
- لقد بلغ (رودان) من دقة المحاكاة التشريحية، أنهم اتهموه بأنه يصب تماثيله من البرونز فوق نماذج بشرية حقيقية.. واتهموه بأنه يضع عظامًا بشرية لتشكل هيكلًا لتماثيله..
وكنت أعرف أنهم جميعًا - (مايكل أنجلو) و(رودان) و(مختار) - درسوا التشريح بعناية قبل أن يدرسوا النحت.. لهذا قررت أن أبدأ

مثلهم.. حصلت على هذه العظام من أحد طلبة الطب وشرعت أدرسها..

لكني غير طبيعي.. ولحظات يأسي لا تنتهي... ربما بسبب المرض.. ولكم من مرة انتابني الإحباط، فألقيت بكل ما في يدي من المنور.. هذا هو سر تكدس العظام هنالك..

- وخروجك الليلي المنتظم..؟

- أقول لك إنني غير طبيعي.. لقد جعلني مرضي شديد التقلب.. هناك أوقات معينة أشعر فيها أنني سأجن لو لم أترك هذه الجدران الأربعة التي تجثم فوقي..

- يبقى موضوع سفرك المتكرر للإسكندرية..

- لماذا يسافر أي نحات للإسكندرية؟!.. سؤال سخيف..

ان الاسكندرية هي أنشودة الفن.. الامتزاج الخالد بين الفن الروماني والفرعوني والإسلامي.. الإسكندرية هي منبع الهامي، ولو لم أرها مرتين في الأسبوع على الأقل فلابد أن أجن!!

- ولم لا تسافر بسيارتك؟!،

- سؤال غريب.. هذه حريتي الشخصية فيما أظن.. ولا يمكنك أن تلوم إنسانًا لا يجيد القيادة أو يحب القطارات

- هذا حق!..

وتفكرت حينًا في نقاط غامضة أخرى.. ثم قلت:

- وبالطبع فإن أصوات الدق الليلية كانت نتيجة لنشاط خاص بالنحت...

- هذا صحيح.. وأعترف أن جيرة الفنانين مزعجة جدًا..

هكذا..

لقد كان هذا التعس مجموعة من التناقضات والأطوار الغريبة، التي لم يكن تفسيرها ممكنًا إلا على هذا الضوء الشنيع.. أنه يأكل لحم البشر..!

ولكم كنا مخطئين..!

ولكم ارتعبنا وارعبنا دون مبرر واضح.. وهنا تذكرت (عادل) يقول بصوته الواثق:

- إن الناس لا يفهمون المنطوي أبدًا.. قد يفهمون الوقح وقد يفهمون المزعج.. لكن المنطوي المهذب لابد ان يثير لديهم الظنون..!

❋ ❋ ❋

ولكن..

من هو سفاح الإسكندرية إذن؟

* * *

١٠ - السفاح..

نحن الآن نشاهد الفصول الأخيرة من قصة سفاح الإسكندرية..

الزمان: الساعة الثانية ظهرًا من يوم ٦ مايو سنة ١٩٦٥.

المكان: زقاق ضيق قذر في إحدى الضواحي التي لن أذكر اسمها.. سيارة شرطة محملة بالجنود تسد إحدى ناحيتي الزقاق، وثلاث أو أربع سيارات تقف متراصة عند الناحية الأخرى..

ثمة بعض الفضوليين والمتسكعين يراقبون ما يحدث، لكن رجال الشرطة يبعدونهم في صرامة، ويساعدون على جلاء السكان..

(عادل) يقف بجوار سيارته وبابها مفتوح، بينما أجلس أنا في المقعد المجاور للسائق منكمشًا بادي التوتر.. فلقد أصر (عادل) على أن أرى نهاية القصة..

شرطي يتقدم ويقوم بتثبيت إبرة إطلاق النار لبندقيته الآلية.. وأشياء أخرى لا أعرف كنهها. لأني لست خبيرًا بالأسلحة النارية. لكنني أراهم جميعًا في الأفلام يفعلون أشياء مماثلة...!

كليك..!.. كراك... كليك..!..

هذا الصوت المرعب الذي يخبرك أن البندقية صارت أداة قتل حية ويقظة..! رفعت

رأسي إلى (عادل) الذي وقف مهيبًا مرعبًا ويداه في خصره.. وقلت..

- (عادل).. أنا خائف..

- هذا ليس خبرًا جديدًا..

- ألن تنادوا عليه بمكبر الصوت..؟

ابتسم في سخرية وهو يضرب إطار السيارة بطرف حذائه:

- نعم.. ولم لا نقول له: استسلم يا مرسي.. البوليس يحاصرك من كل ناحية؟!.. أنت ترى أفلامًا كثيرة يا (رفعت)..!.. إنك ساذج.. ثم رفع عقيرته في صرامة:

- أريد ثلاثة أو أربعة هناك..! نحن لا نمزح..

وعلى الفور اندفع ثلاثة رجال يقفون بجوار إحدى نوافذ الطابق الأرضي.. وسمعت ذلك الصوت المشئوم إياه..كليك كراك كليك!..

فتجمد الدم في عروقي.. ستحدث مجزرة ها هنا بعد دقائق..

❋ ❋ ❋

قلت لـ(عادل):

- والآن.. من هو؟!

قال وهو يشعل سيجارة:

- اسمه (صالح محمود).. وهو عاطل ومعقد ومفلس حاليًا...

- ومن وشي به؟

- زوجة صاحب البيت الذي يعيش به، شكت في تصرفاته واحتفاظه بكل هذه السكاكين.. ثم وجدت قطرات دم على السلم.. وهكذا..

- ولماذا كان يفعل ذلك؟

يا صديقي لا يمكن معرفة طريقة تفكير سفاح.. بعضهم يملك عقدًا نفسية.. وبعضهم

يعاني جنون الاضطهاد.. وبعضهم يبحث عن الشهرة.. وبعضهم يعاني رواسب سادية قديمة..

هذه مشكلته وليست مشكلتنا..

تنهدت في حسرة:

- وأنا الذي خاطرت وتعذبت من أجل ظن لا وجود له.. واتهمت شابًا مريضًا حساسًا بأبشع التهم.. بل ضربته ضربًا مبرحًا..

- لست وحدك.. بل أنا والدكتور (شاهين)، وكل رجالنا الذين تجمدوا في ليل الشتاء وهم يراقبون هذا الفتى...

لقد كان الجواب تحت أنوفنا هنا في الإسكندرية..

- على كل حال لم يحدث أن اجتمعت كل هذه الظواهر الخادعة من قبل، ولو أن

(شيرلوك هولمز) في مكاننا لفعل نفس الشيء..

- كانت فكرة الكانيبالزم شططًا لا داعي له.. إنه مجرد سفاح عادي، إذا كان هذا التعبير جائزًا..

وهنا سمعت صوت الرجال يتعالى..

ورفعنا رؤوسنا لنجد شخصًا يتحرك فوق سطح البيت الآيل للسقوط، وهو يترنح كي لا يسقط.. ويفرد ذراعيه على استقامتهما..

كان وجهه وجه شاب تراه في كل مكان وفي كل يوم، برغم لونه الغريب..

وكان يرتدي (بول أوفر) وبنطلون بيجامة قذرًا ممزقًا عند الركبتين.. التفت (عادل) إلى شرطي بجواره.. وهتف:

- سعد.. هاته!

وعلى الفور اندفع سعد إلى مدخل العمارة القذر.. واختفي في الظلام..

قلت لـ (عادل):

- إنه يبدو آدميًا..!

نظر إلي في استخفاف:

- وماذا كنت تتوقع؟.. إن السفاح ليس شخصًا منكوش الشعر، زائغ النظرات، نامي اللحية، يجري في الشوارع شاهرًا سكينًا واللعاب يسيل من شدقيه؟

وهنا دوى صوت صراخ وحشي من على السطح..

نظر (عادل) إلى الرجال فاندفعوا عبر مدخل العمارة.. وسمعت صوت معركة - دون طلقات لحسن الحظ - انكمشت لها أكثر فأكثر، صوت شخص يستغيث.. صوت الكلمات.. عبارات سباب.. صراخ..

ثم برز الرجال وهم يمسكون بشيء كالخنزير البري..
كان (صالح) في وسطهم وقد تورمت عيناه وسال الدم من شدقيه وانتابه هياج لا يصدق، وكان يتهدد ويتوعد ويرفض المشي، من ثم كانوا يجرونه جرًا...
وظهر زوج من الأصفاد كئيب المنظر....
وفي ثوان التف القيد حول معصمه.... و....
لا أدري لماذا ذكرني منظره بتلك الكلاب المسعورة، التي كان شرطي الكلاب يجرها بأنشوطة من الجلد، في نهاية قضيب حديدي طويل.. وكنت أرتجف حين أتخيل ما يمكن أن يحدث لو أفلتت قبضة الشرطي من على قضيب الحديد هذا..
وفجأة..
وقبل ان أفهم ما هنالك..

دفع الفتى الشرطي الذي يمسك بالطرف الآخر من القيد في صدره، فأوقعه أرضًا.. ثم - في نفس اللحظة تقريبًا - هوى بالجزء المعدني الذي كان يمسكه الشرطي، على زجاج نافذة بالطابق السفلي.. وفي ثوان هشم الزجاج إلى قطع صغيرة.. والتقط قطعة.. ووثب علي حيث خرجت من السيارة..

حدث كل هذا في ثانيتين فلم يتمكن أحد من فعل شيء..

ووجدت ذراع الفتى يلوي ذراعي للخلف، وقطعة الزجاج الحادة فوق شريان عنقي (السباتي للأسف!)..

لقد فر الكلب المسعور من حارسه!..

وصرخ في هياج جنوني:

- لا يقتربن مني أحد وإلا ذبحت لكم هذا الخروف!

شعرت بالزجاج يضغط عنقي يكاد يخترقه.. كان شرسًا، وقد زاده الخوف توحشًا.. وشعرت أنفاسه اللاهثة الملوثة بالتبغ تلفح أنفي.. وكان قويًا بلا شك..

بدأ الرجال يتراجعون في بطء وارتباك..

وحتى (عادل) بدا كمن أسقط في يده..

- هكذا... أبعدوا هذه السيارات عن المدخل..!

وأنا لست قويًا..

لكني أمقت أن يستغلني أحد في تعطيل العدالة، ولا أحب أن ينعتني شخص لا أعرفه (بالخروف).. كما أني أمقت الفظاظة وعدم اللياقة..

وفي ثوان اتخذت قراري..

وفي ثوان نفذته..

ألقيت بنفسي للخلف لأبتعد عن نصل الزجاج.. ثم لويت ذراعي عكس اتجاه ذراعه، ورفعت قدمي راكلًا ساقه التي توازن عليها.. وهكذا سقط أرضًا، وقبل أن يفهم شيئًا كان هناك عشرة رجال شرطة يثبتونه أرضًا، ويحكمون تقييده.. مع توجيه بعض اللكمات لتهدئة حماسه..

ولم أسمع عبارات التهنئة..

ولم أسمع كلام (عادل) الضاحك وهو يربت على كتفي..

ولم أسمع دقات قلبي..

كنت أبحث عن مكان يصلح لفقدان الوعي..!

* * *

الخاتمة..

بعد أن حضرنا معرضه في قاعة (جوته) بالإسكندرية، أدركنا - أنا و(عادل) - أن (عزت شريف) قد بلغ الكمال في فنه..

وكان يقف هناك نحيلًا غريب اللون - ولكن مرتفع المعنويات - يتحدث إلى الحسناوات ورجل أو اثنين من رجال الصحافة.. وكان يتألق كالنجم...

وحين سألني عن رأيي في معرضه الأول قلت له:

- سأقص عليك قصة لا أدري أين قرأتها.. كان هناك مثال ينحت تمثال امرأة.. وكان يريد أن يصل للكمال فيه..

وهكذا ظل يتقن ويتقن في صنعه.. عامًا بعد عام.. وعقدًا بعد عقد.. حتى انتهى منه..

وعندئذ وقف يتأمله في ذعر.. ثم صرخ: يا إلهي!.. إنه يبدو حيًا..!.. ثم خر ميتًا من فوره..!

نظر إلى في وجوم.. ثم قال:

- إنها قصة سخيفة على كل حل.. وعمومًا أنا لا أفهم ما تريد قوله..

- وأنا كذلك.. لقد تذكرت هذه القصة لسبب لا أدريه..

- ربما هو جنون..

- أو تحذير من البحث عن الإجادة الكاملة..

وهنا شعرت بـ (عادل) يجذبني ليقدمني إلى فتاة رقيقة بارعة الجمال تبتسم في حرج.. وسمعته يقول:

- معذرة لإنهاء المحادثة.. هذا دكتور (رفعت) يا (هويدا).. هذه (هويدا) يا (رفعت).. أرجو ألا تكونا نسيتما بعضكما..

هتفت في ذهول وأنا مندهش كيف لم ألحظ جمالها في تلك الأمسية:

- ربما نسيتني هي.. أما أنا فمستحيل..

يبدو أنني قد تسرعت في قراري السابق، ويبدو أن الوقت قد حان كي أكبر وأكون كالآخرين الذين يتحدثون عن الخطبة والمهر وقائمة الأثاث و.... و.... تلك الأسرار المرعبة..

يبدو أن الوقت قد حان كي استقر...

قلت هذا لنفسي، ولم أكن - للمرة المليون - أعرف أي ساذج أنا.. فقد كنت سأسافر إلى جزر الهند الغربية بعد شهرين، وكنت سألقي هناك كابوسًا جديدًا من نوع خاص..

ولكن.. هذه قصة أخرى!

د. رفعت إسماعيل

القاهرة في مايو ٩٢

[تمت بحمد الله]

رقم
الإيداع:
١٦٠٦

المطبعة
العربية
الحديثة
٨ و١٠ شارع ٤٧
المنطقة الصناعية
بالعباسية

القاهرة ت:
٢٨٢٣٧٩٢ -
٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس

١٠ - السفاح..

الخاتمة..

روايات مصرية للجيب

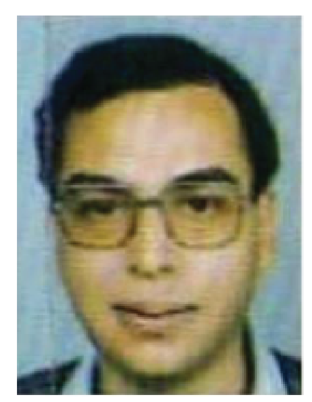
ما وراء الطبيعة

روايـــات تحبس الأنفـــاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة آكل البشر

إن الحديث عن آكلة لحوم البشر مثير دائمًا، بشرط ألا تكون أنت الضحية!..، والآن أغمض عينيك وتخيل معي .. ماذا لو اتضح لك أن هناك آكل لحوم بشر في مدينتك .. بل في شارعك .. بل في دارك؟! تخيل أن لك جارًا يأكل لحوم البشر، ويمارس طقوس (الكانيبالزم) بانتظام .. وهو الآن يدق بابك بعد منتصف الليل، طالبًا بعض التوابل ..! أرجوك .. لا تفتح الباب ..!!

المؤلف



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة الموتى الأحياء

الثمن في مصر ص
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

Notes

[←1]

تذكر أن هذا الكلام في عام ١٩٦٤.

[←2]

لم تكن (العين السحرية) التي تركب في الأبواب المعرفة الطارق معروفة في ذلك الوقت..

[←3]

اتهمت السلطات الفرنسية أحد كبار الضباط بالخيانة فيما عرف باسم (قضية درايفوس) برغم عدم كفاية الأدلة، من ثم جرد الأديب الفرنسي (اميل زولا) قلمه وكتب مقالات ملتهبة تحت عنوان (إنني أتهم)، وقد نجحت المقالات في جعل الحكومة تعيد المحاكمة وتبرئ درايفوس.

[←4]

علم السلوك الإنساني.

[←5]

حقيقة.. إن (مرفت) هو النطق التركي لكلمة (مروة) العربية..